



أَحْبَابُ النَّبِيِّ ﷺ

المجلس الاقتصادي للدول الإسلامية

Economic Council Of Muslim Countries

Geneva, London, Kuwait

2021

تأليف:

د. علي درويش الشمالي

مراجعة وتدقيق: الشيخ/ عبدالله نجيب سالم

الخطوط من كتاب (محمديات)

للفنان/ فريد العلي

مجاناً لطلب نسخ اضافية يرجى الاتصال 1824824 (+965)

ص.ب. 2799 الصفاة - الكويت

P.o.Box 2799 Safat- Kuwait



عن أبي بن كعب رضي الله عنه

قال: قلت: يا رسول الله

إني أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي

قال: ما شئت. قال قلت الربع

قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك. قلت النصف

قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك. قال قلت فالثلثين

قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك.

قلت أجعل لك صلاتي كلها

قال: «إذا تكفَى همك ويغفر لك ذنبك».

قال الإمام الترمذي رحمه الله: (هذا حديث حسن صحيح)



المقدمة

الحمد لله الذي اختص رسوله محمداً ﷺ بخالص حبه، فكان أحب الخلق إليه وأولى الخليقة به، وجعل الصلاة والسلام عليه طريقاً لنيل قربه ورضاه، وسبباً للفوز بمعيته. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وجميع أحبائه صلاة وسلاماً تامين طيبين مباركين، وآته الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود الذي وعدته، وصل وسلم يا رب على سادتنا وإخوانه عيسى وموسى وإبراهيم ونوح وآدم وعلى جميع أنبيائك وعبادك الصالحين وملائكتك المقربين صلاة وسلام تنال بها رضاك والجنة.

اللهم صل صلاة كاملة وسلم سلاماً تاماً على المصطفى الذي تحل به العقد، وتفرج به الكرب وتقضى به الحوائج وتنيل به الرغائب وحسن الخواتيم ويستسقى الغمام بوجهه الكريم وعلى آله وجميع ذريته وصحبه وجميع أحبائه في كل لحظة ونفس بعدد وبملا وعبادة كل شيء يا أرحم الراحمين.

وبعد ... فحب رسول الله ﷺ فريضة محكمة في الدين، وهو جزء من الإيمان متين، لقوله صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده ووالده والناس أجمعين) (رواه البخاري) والصلاة والسلام عليه ترجمان محبته، وآية احترامه، وأسلوب التودد إليه. أمرنا بذلك ربنا فقال سبحانه ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب ٥٦).

وأخرج أحمد وابن ماجه عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يخطب وهو يقول : (من صلى علي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى





علي، فليقل عبداً من ذلك أو ليكثر). الصلاة على النبي ﷺ يفتح الله بها علينا أبواب رحمته، فتشرح الصدر وتزيل الهم وترفع مقام العبد عند ربه فيسير بها إلى الدرجات العلى، وهذا مجرب..

إن الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فيها غفران الزلات، وتكفير السيئات، وزيادة الحسنات، وإجابة الدعوات، وقضاء الحاجات، وحلول الخيرات والبركات، وهي منجية من الشرور والآفات، وفيها القيام ببعض حقه، وتنمية محبته في القلب، وهي من أسباب الهداية إلى صراط مستقيم. ومن هذا المنطلق جمعت في هذا الكتاب أربع عشر محب للرسول ﷺ عسى الله أن يجعلنا منهم مستشهداً من قول المولى عز وجل ومن أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام.

وقد افتتحت الكتاب بأكبر وأعظم محب وهو الله عز وجل الذي نرى آثار محبته تتجلى في جميع آيات القرآن الكريم فالمصطفى عليه الصلاة والسلام خليل وحبیب الله عز وجل، وفي هذا الجزء تضمن الكتاب دلائل حب الله ومظاهر حب الرسول بالإضافة إلى فضل الصلاة والسلام على المصطفى ﷺ.

أما الجزء الثاني فتضمن حب الملائكة وعلى رأسهم سيدنا جبريل عليه السلام فهو رفيق الدرب في هذه الدنيا والناصح الأمين ناقل الرسالة، وعرضت في هذا الجزء قصص في حب جبريل للمصطفى عليه الصلاة والسلام. أما الجزء الثالث فحوى حب المصطفى لآل بيته عليهم الصلاة والسلام وفيه بينت تعامله مع أهله وزوجاته خصوصاً في الأزمات فيا له من والد وزوج عظيم.

وفي الفصل الرابع وضحت حب المصطفى ﷺ لأئمة وشفقته وخوفه على جميع أئمة ودعائه المستمر لهم وما لأئمة من فضل بسبب الحبيب المحبوب عليه الصلاة والسلام، ثم انتقلت إلى أحباب المصطفى ﷺ من أصحابه والذي بينا تعامله معهم



لدمائة أخلاقه ومراعاته للنفوس وجبر الخواطر وبيننا الشوق الدائم لمجلسه ووفاءه للمهاجرين والأنصار عليهم الصلاة والسلام جميعاً.

أما في الفصل السادس والسابع فعرضت حب المصطفى ﷺ واحترامه لجميع الأنبياء والرسل السابقين ولحبه للدولة والوطن فحبه عليه الصلاة والسلام مترجم الى أفعال كثيرة مثل المواطنة والاهتمام بها فقد وضع دستور المدينة وطور البنية التحتية ودعى للمحافظة عليها وحمايتها وتطويرها بأفضل النظم الحكومية لم يشهدها التاريخ حتى الآن.

وفي الفصل الثامن عرضت حب المصطفى ﷺ للجنة والرغبة فيها دوماً كما جعلها مبتغى أحبابه وأصحابه فهي الهدف الأسمى موضعاً أهل الجنة وفضلهم وأسباب دخول الجنة، أما في الفصل التاسع فقد حوى حب المصطفى ﷺ للفقراء والمساكين والمرضى والجيران وحرصه عليهم فرعايتهم حق من حقوق المجتمع والأمة وهنا عرضت كيفية مراعاة شعورهم والعناية بالمريض وصاحب المصيبة واختتمت بحقوق الجار كما حرص عليها المصطفى ﷺ.

ثم انتقلت الى حب أهل القرآن وخاصته فقد نزل على المصطفى ﷺ فكان أولى الناس به وهنا بينت فضائل بعض السور القرآنية وبعد ذلك انتقلت الى حب ذوو الأخلاق الحسنة فهم أقرب الناس مجلساً للمصطفى ﷺ في الجنة وفضائل حسن الخلق لا تحصى، أما الجزء الذي يليه فقد خصصته لأهل الصدقات وفوائد الصدقة كما بينها المصطفى ﷺ وبعدها انتقلت الى حب المحسنين وصفة الاحسان ومنزلة الاحسان في القرآن والسنة، وقبل الختام عرضت حب المصطفى ﷺ لأهل العلم فهو المعلم الأول وهنا عرضت بعض الأساليب التعليمية والقُدوة الحسنة التي استخدمها المصطفى ﷺ وأخيراً ختمت بحب المصطفى ﷺ وهنا وضحت واجبية حبه وكيفية حبه مبيناً آثار محبته وتوقيره عليه الصلاة والسلام.



وقد تمت مراجعة الكتاب لتكون متوافقة مع السنة النبوية وآثار السلف الصالح لفظاً ومعنى، واختير لها اسم «أحباب المصطفى» لأننا بمعرفتهم نحظى بمغانم من الله كبيرة، أعظمها: أن يصلي الله الرحمن الرحيم وملائكته الكرام البررة علينا، قال رسول الله ﷺ (من صلى علي مرة صلى الله عليه عشر مرات) (رواه مسلم) ولك أن تتفكر كيف سيكون حالنا إذا صلى الله رب الوجود علينا! ومن مغانمها: قول رسولنا الكريم ﷺ (إن أولى الناس بي أكثرهم علي صلاة) (رواه الترمذي).

ولقد كان هدفنا باختصار من هذا الكتاب تشجيع القراء على الانضمام لركب محبته وكثرة الصلاة عليه ﷺ بأعداد لا حصر لها ولا نهاية، ومقصدنا من ذلك أن يشفي المحب غليله ويرتوي المشتاق إلى رسول الله ﷺ فيقوم ببعض حقه عليه.

فاللهم صل وسلم وبارك على رسولنا وحبيبنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وذريته وصحابته الغر الميامين وأتباعه ومحبيه إلى يوم الدين عدد كل شيء ومداد كل شيء وضاعفها مداد اسمائك الحسنی وصفاتك في كل مرة وحين كيفما وكلما صليت وسلمت وباركت عليه يا أكرم الأكرمين، واجعلنا منهم بكرمك يا رب العالمين... والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول : حب الله







المقدمة

إذا كان أحد يريد أن يكون أكثر الناس حبا لنبي الإسلام والرحمة محمد ﷺ، فأولى به أن يعلم كيف كان يحبه الله خالقه المولى سبحانه وتعالى. فأول الحب أنه اختاره لحمل الرسالة الخاتمة واصطفاه على العالمين، وهو الذي أثنى عليه في كثير من آيات القرآن الكريم: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ ﴾ (النجم: ٢)، وقوله عز وجل: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۚ ﴾ (النجم: ١٧)، ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۚ ﴾ (النجم: ١١)، ﴿ أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۚ ﴾ (الشرح: ١). وأثنى عليه في صبره، فقال تعالى: ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٢٨)، وكان أبرز ما وصفه به سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤)، وهذه أكبر شهادة يمكن أن يحصل عليها إنسان، أن يثني عليه ربه في قرآن يتلى إلى يوم الدين. لم يكن الأمر قاصرا على إظهار محاسنه ﷺ في القرآن الكريم، بل إن الله تعالى أقسم به، حيث قال: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (الحجر: ٧٢). وعندما تعرض للطرد من الطائف والإهانة من أهلها، أرسل له ملائكته يقولون له لو أمرتنا لأطبقتنا عليهم - أي الكافرين - الجبلين، إلا أن حلم النبي ﷺ يحول بين ذلك، ويقول لعل الله من يخرج من أصلابهم من يشهد أن لا إله إلا الله. ثم يرضيه ربه، ويقول: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ (الضحى: ٥)، ويؤكد له أنه في عين رعايته وحفظه، قال تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (الطور: ٤٨).

عن أنس بن مالك : اصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر : فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر فقلنا : يا رسول الله لم صنعت هذا؟ قال:



لأنه حديث عهد بربه تعالى (رواه مسلم) ولم يبالي بالبرد وما قد يثيبه من مرض ليوضح مدى اشتياقه وحبه لمولاه عز وجل. يقول محمد عمارة : أحببت الخير للخير وكرهت الشر للشر وهذا وحده يكفيني في التقدم به الى الله، أما المصطفى ﷺ وعلاقته بالله عز وجل فالموضوع يختلف تماماً. ولم يقف الأمر عند ذلك بل قربه إليه نجياً، قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾﴾ (النجم ٨، ٩)، وجعل غض الصوت أمامه ﷺ من التقوى، قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَغْضَوْنَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾ (الحجرات: ٣)، فأبي حب هذا وكيف يوصف؟ أن المولى عز وجل يحب محمد ﷺ حبا عظيماً والأدلة كثيرة وواضحة في القرآن الكريم والسنة المطهرة من ذلك ما يلي.

أولاً: دلائل حب الله عز وجل للمصطفى:

والدلائل على حب الله عز وجل كثيرة لا تحصى وعلى سبيل المثال تحصر التالي:

١ - المولى أقسم بحياة النبي:

قال تعالى ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ (سورة الحجر ٧٢) جاء في تفسير الطبري، وقوله (لَعَمْرُكَ) يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: وحياتك يا محمد، إن قومك من قريش (لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) يقول: لفي ضلالتهم وجهلهم يترددون، وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل وما أجمله من تعبير لأن الحبيب لا يقسم إلا بمحبوبه.

عن ابن عباس، قال: ما خلق الله وما ذراً وما برأ نفساً أكرم على الله عز وجل من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال الله تعالى ذكره (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)، وقال: ما حلف الله تعالى بحياة أحد إلا بحياة



محمد ﷺ، قال: وحياتك يا محمد وعمرك وبقائك في الدنيا (إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)، وهي كلمة من كلام العرب، لفى سكرتهم: أي في ضلالتهم يعمهون: أي يلعبون.

٢- وعد الله له بأنه يعطيه حتى يرضيه:

يقول بنجامين فرانكلن الله يشفي والطبيب يأخذ الأجر فالكل يعلم بأن الله عز وجل هو المسيطر وصاحب كل الفضل وغيره يؤجر فكيف إذا تكفل المولى بعطاءه لرسوله ﷺ ليرضيه.

قال تعالى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٥﴾ (الضحى: ٥) يقول التفسير: ول سوف يعطيك يا محمد ربك في الآخرة من فواضل نعمه، حتى ترضى. وقد اختلف أهل العلم في الذي وعده من العطاء، فقال بن عباس: عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده كَفَرَا كَفَرَا (أي بلداً بلداً)، فسَرَّ بذلك، فأنزل الله (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) فأعطاه في الجنة ألف قصر من لؤلؤ تراهن المسك، في كل قصر، ما ينبغي من الأزواج والخدم وذلك يوم القيامة.

٣- قص عليه القصص تثبيتاً له:

ومن حب الله له انه يقص عليه قَصَصَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ؛ تَثْبِيثًا لَهُ وَتَسْلِيَةً لِنَفْسِهِ وَرَبْطًا عَلَى قَلْبِهِ، فَمَا قِصَّةُ نُوحٍ مَعَ قَوْمِهِ، وَمَا قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَافَلَةُ قَوْمِهِ إِحْرَاقَهُ بِالنَّارِ، وَمَا قِصَّةُ يُوسُفَ بِطُولِهَا وَمَا فَعَلَهُ مَعَهُ إِخْوَتُهُ، وَمَا قِصَّةُ مُوسَى مَعَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ وَإِهْلَاكَ اللَّهِ لَهُمْ، مَا تِلْكَ الْقَصَصُ إِلَّا تَثْبِيثًا لَهُ بَعْدَ تَكْذِيبِ قَوْمِهِ وَإِذَائِهِمْ، مَا تِلْكَ الْقَصَصُ إِلَّا لِلتَّرْوِيحِ عَنْ قَلْبِهِ وَإِدْخَالِ الْفَرَحِ عَلَى نَفْسِهِ، مَا تِلْكَ الْقَصَصُ إِلَّا لَتَبْشِيرِهِ بِأَنَّ الْعَاقِبَةَ لَهُ وَأَنَّ اللَّهَ لَنْ يُضِيعَهُ ﴿١٢٠﴾ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِيهِ ﴿١٢٠﴾ [هود: ١٢٠].



٤ - اخبار الله له بأنه يرحاه:

قال تعالى ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (٤٨) (الطور: ٤٨) وفي تفسير الطنطاوي قال ثم ختم - سبحانه - السورة الكريمة، بتلك الرحمة الرقيقة لنبيه ﷺ فقال: (وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا...) أي: اصبر - أيها الرسول الكريم - وانتظر لحكم ربك إلى أن تنزل بهم عقابنا في الوقت الذي نشأؤه ونختاره فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا أي: فإنك بمرأى منا وتحت رعايتنا وحمایتنا وحفظنا...

وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ أي: وأكثر من تسبيح ربك وتنزيهه عن كل مالا يليق به حين تقوم من منامك، أو من مجلسك، أو حين تقوم للصلاة.

٥ - أمر الناس بالتأدب مع المصطفى

وَمَا يَدُلُّ عَلَى حُبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ وَتَقْدِيرِهِ وَتَعْظِيمِهِ أَنْ أَمَرَ كُلَّ مَنْ يَتَكَلَّمُ مَعَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ يَتَأَدَّبَ فِي الْحَدِيثِ وَالْكَلَامِ؛ فِي سُورَةِ الْحُجَرَاتِ وَحَدَّثَهَا جَاءَ قَوْلُهُ: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقَاةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣]، وجاء التَّقْرِيعُ الشَّدِيدُ لِلْمُخَالَفِ بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤].

وَأَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ فِي الْحِفْظِ وَالرَّعَايَةِ لَهُ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩] فهو سبحانه يراقبه في قِيَامِهِ وَسُجُودِهِ بل ورحاه وهو في أصلاب آبائه أرحام أمهاته.



٦ - المعراج ووصوله الى مكانة عليا

فقد رفعه الله المولى عز وجل الى مكانة لم يصل إليها غيره حتى من ملائكة بل وحتى جبريل نفسه عيه السلام لم يصل إليها.

قال تعالى في سورة النجم ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ جاء في تفسير الطنطاوي ثم عظم- سبحانه- من شأن ما أراه لنبيه ﷺ فقال: لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ.

والكلام جواب لقسم محذوف، والآيات جمع آية، والمراد بها العجائب التي أطلع الله- تعالى- عليها نبيه ﷺ في تلك الليلة، وهي ليلة الإسراء والمعراج، والكبرى: صفة لهذه الآيات، وحذف المرئي: لتفخيم أمره وتعظيمه، أي: والله لقد رأى محمد ﷺ في تلك الليلة أمورا عظاما لا يحيط بها الوصف، وقد أكرمناه برؤيتها ليزداد يقينا على يقينه، وثباتا على ثباته، وقوة على قوته في تبليغ رسالتنا، وحمل أمانتنا.

هذه الآيات تحكى رؤية النبي ﷺ لجبريل عليه السلام مرتين، وأن الضمائر في تلك الآيات منها ما يرجع إلى جبريل، ومنها ما يرجع إلى الله- عز وجل-.

٧ - عطف ومودة الله لرسوله

إِنَّ عَظْفَ وَمُودَةَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَكْبَرُ مِنَ الْوَصْفِ، وَأَعْظَمُ مِنَ الْخَصْرِ؛ فَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ؛

أَثْنَى عَلَيْهِ فِي «عَقْلِهِ» فَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [النجم: ٢]، أَثْنَى عَلَيْهِ فِي «بَصَرِهِ» فَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٧]، أَثْنَى عَلَيْهِ فِي «فُؤَادِهِ» فَقَالَ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١]، أَثْنَى



عَلَيْهِ فِي «صَدْرِهِ» فَقَالَ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]،

أَتْنَى عَلَيْهِ فِي «صِدْقِهِ» فَقَالَ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٣]،

أَتْنَى عَلَيْهِ فِي «حِلْمِهِ» فَقَالَ تَعَالَى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [١٢٨]

[التوبة: ١٢٨]، أَتْنَى عَلَيْهِ كُلُّهُ فَقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

٨- حب وتقدير الرسول لربه

إِنَّ حُبَّ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ شَيْءٌ لَا تُوصَفُ، فَلَقَدْ تَحَمَّلَ ﷺ مَا لَمْ يَتَحَمَّلْهُ أَحَدٌ؛ وَأُوذِيَ أَذًى لَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ أَحَدٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا حُبًّا لِلَّهِ وَإِرْضَاءً لَهُ وَتَقَرُّبًا إِلَيْهِ، ثَابِرٌ وَصَابِرٌ فِي نَشْرِ دَعْوَتِهِ وَهَدَايَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ وَالِدَّلَالَةِ عَلَيْهِ، كَانَ أَرْحَمَ الْخَلْقِ بِالنَّاسِ، وَأَرْأَفَهُمْ بِهِمْ وَأَشَدَّهُمْ حِرْصًا عَلَىٰ هِدَايَتِهِمْ وَنَجَاتِهِمْ؛ فَقَدْ كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُهُ ﷺ، فَمَرَضَ، فَاتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلَمَ» فَأَسْلَمَ الْغُلَامُ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَحًا مَسْرُورًا مُسْتَبْشِرًا وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ» (رواه البخاري). وَأَهْدَرَ دَمَاءَ أَنَاسٍ مُحَارِبِينَ لَهُ، مِنْهُمْ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَرْحٍ، فَلَمَّا أَقْبَلُوا عَلَيْهِ وَجَدُوهُ أَرْحَمَ الْخَلْقِ بِالْخَلْقِ، وَأَرْأَفَ بِهِمْ مِنْ أُمَهَاتِهِمْ، ﷺ.

ثانياً: مظاهر حب الرسول لربه:

كَانَ ﷺ يَحِبُّ رَبَّهُ وَيُرَاقِبُهُ وَيَدْعُوهُ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ وَيَسْتَغْفِرُهُ وَيَسْتَرْضِيهِ وَيَتُوبُ إِلَيْهِ وَيَسْبَحُ بِحَمْدِهِ وَيَقْدُسُهُ وَيَعْظُمُ شَانَهُ وَيَهْجُرُ الْأَهْلَ وَالْوَلَدَ وَالْفَرَّاشَ وَاللِّذَائِدَ مِنْ أَجْلِهِ وَيَتَحَمَّلُ الشَّدَائِدَ وَالْبَلَاءَ فِي سَبِيلِهِ. إِنْ الْحُبُّ بَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ ﷺ حُبٌّ لَا يُوصَفُ وَلَا يُوجَدُ لَهُ مَثِيلٌ وَلَا تَعْرِفُ الْبَشَرِيَّةُ حُبَّ بَلِغَ هَذَا الْمَبْلَغِ، فَعِنْدَمَا تَقْرَأُ الْآيَاتِ وَكَيْفَ يُخَاطَبُ بِهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ ﷺ نَرَى بوضوح



مدى العطف والحنان والرحمة والحب في ثنايا الكلمات التي انتقاها الله عز وجل في مخاطبة رسوله ﷺ وعندما نطلع على السيرة النبوية وكيف أن المصطفى يرمي الدنيا وما فيها فقط لسماع الأذان تاركاً كل ما يشغله من أهل وأصحاب ودنيا ليصلي بين يدي المولى فهي حقاً قرّة عين المصطفى ﷺ وعندما ينزل المطر يقف تحته كاشفاً رأسه ليقول حديث عهد بالله حديث عهد بالله فيا له من حب لا نعلم كيف نصفه لتقف الكلمات والحروف عارية حيارى في وصفه، وهنا سنحاول أن نستجمع بعض المواقف ونقرب المسافات مع علمنا اليقين بأننا لن نقدر على وفاء الوصف فكيف للرملة أن تخط على الشاطئ مجسم الأكوان والله المستعان ومن أراد أن يحدثه الله فليقرأ بالقرآن (أحمد أبو غالي) ولكي نقرب المسافات لفهم الحب يقول أندريه غريزي في أجمل ما وصف خلقه حين قال من روائع خلق الله قلب الأم لأنه مليء بالمحبة فكيف ونحن نتكلم عن حب الله لسيد الخلق فحقيقة تعجز الكلمات بوصفها.

فعندما انقطع القرآن عدة أشهر عن المصطفى ﷺ ولم ينزل جبريل ولم يحلم بالأسباب فأنزل الله عز وجل سورة الضحى وما أجملها من كلمات تكفي لتعبر عن حبه وأنه لن يتخلى عنه فلنقرأ الآيات وتكفيها قراءتها ﴿وَالضُّحَى ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾.

والمتابع الى دور جبريل عليه السلام وعلاقته بالأنبياء والرسل يصل الى نتيجة مفادها بأنه ليس دوره فقط الرسول من الله عز وجل إليهم ولكنه أيضاً الراعي لشئونهم الناصح لأموالهم فهذا يوسف عليه السلام عندما يرمى في البئر يتلقفه



جبريل في قاعه حتى لا يؤذى وهذا ابراهيم مربوط بالمنجنيق يأتيه مدد جبريل قبل أن تصدر الأوامر للنار بأن تكون برداً وسلاماً وهذا نبينا ﷺ يجد جبريل على رأس ألف من الملائكة مسومين ينصرون جيش المسلمين في غزوة بدر وغيرها أمثلة كثيرة.

ولحب الله عز وجل مظاهر كثيرة منها ما جعله من فضل في الصلاة على المصطفى وجعل صيغ خاصة بها وغيرها من فضائل نوضحها بالتالي:

١ - الصيغ الماثورة في الصلاة على النبي

من حديث الذي رواه الترمذي قال رسول الله ﷺ: ان أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة، إن صيغ الصلاة على النبي ﷺ متعددة، ووردت في أحاديث كثيرة، وهي الأفضل والأكمل؛ ومنها:

عن كَعْب بن عُجْرَةَ رضي الله تعالى عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقلنا: قد عرفنا كيف نُسَلِّم عليك، فكيف نُصَلِّي عليك؟ قال: (قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد) (رواه البخاري ومسلم).

وعن كَعْب بن عُجْرَةَ رضي الله تعالى عنه قال: سألنا رسول الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علّمنا كيف نُسَلِّم عليكم؟ قال: ((قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد))؛ (رواه البخاري).

عن عُقْبَة بن عمرو بن ثعلبة أبي مسعود رضي الله تعالى عنه قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد: أَمَرَنَا اللهُ أَنْ نُصَلِّيَ



عليك، فكيف نُصليّ عليك؟ قال: فسَكَتَ رسول الله ﷺ حتى تَمَيَّنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثم قال رسول الله ﷺ: (قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صَلَّيتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما بَارَكْتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما قد عَلِمْتُمْ) (رواه الترمذي). وعن كَعْب بن عُجْرَةَ رضي الله تعالى عنه قال: «أَلَا أَهْدِي لَكَ هَدِيَّةً؟» خرج علينا رسول الله ﷺ، فَقُلْنَا: قد عَرَفْنَا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ قال: (قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صَلَّيتَ على إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما بَارَكْتَ على إبراهيم، إنك حميد مجيد) (رواه ابن ماجه).

«والأولى - كما قال العلماء - التنويع بين هذه الصيغ الواردة، بأن يأتي بهذه تارة وبغيرها تارة أخرى؛ اتباعاً للسنة والشريعة، ولئلا يُؤدّي لزوم إحدى الصيغ إلى هجر الصيغ الأخرى الثابتة، ولما في ذلك من الفوائد الكثيرة الأخرى التي لا تتحصّل بالمواظبة على إحدى الصيغ دون الأخرى، وقد نص الحافظ ابن حجر في فتح الباري على أن جماهير العلماء يرون أن أي لفظ أدّى المراد بالصلاة عليه أجزأ، أما داخل الصلاة، فينبغي الاقتصار على المأثور الوارد، وعدم النقص عنه، احتياطاً للسنة والدين، واتباعاً للوارد عنه عليه الصلاة والسلام.

٢- فضل الصلاة على النبي

ورد في فضل الصلاة على النبي ﷺ عموماً، ويوم الجمعة خصوصاً كثيراً من الأحاديث الصحيحة فعلى سبيل المثال روى الترمذي في سننه عن أبي بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: يا أيها الناس اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه، قال أبي: قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟



فقال: ما شئت، قال: قلت: الربع، قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: النصف، قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك، قال: قلت: فالثالثين، قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك، قلت: أجعل لك صلاتي كلها، قال: إذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك. (قال: أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح).

قال: في تحفة الأحوذى: يعني إذا صرفت جميع أزمان دعائك في الصلاة علي أعطيت مرام الدنيا والآخرة.

عن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فإنه من صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه عشرًا ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة) (رواه مسلم).

قال ﷺ (من صلى علي حين يصبح عشرًا وحين يمسئ عشرًا أدركته شفاعتي) (أخرجه الطبراني في الكبير)، وقال ﷺ: (من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرًا) (رواه مسلم).

وعن عبدالرحمن بن عوف قال: أتيت النبي وهو ساجد فأطال السجود قال: (أتاني جبريل وقال: من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه. فسجدت شكرًا لله) (رواه الحاكم وأحمد). وعن عبدالله بن مسعود عن النبي - ﷺ - قال: (إن لله ملائكة سياحين يبلغونني من أمتي السلام) (رواه النسائي والحاكم وصححه). وقال - ﷺ -: (من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات) (رواه البخاري)، وعن جابر بن عبدالله، قال: قال النبي - ﷺ -: (من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة،



آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له الشفاعة يوم القيامة (رواه البخاري). وسنجز قليلاً في فضل الصلاة على المصطفى ﷺ.

ثالثاً: فضل الصلاة والسلام على المصطفى:

الباحث في فضل الصلاة والسلام على المصطفى يجد العجب العجاب فقد بدأ الله عز وجل بنفسه وبملائكته فهذا الأمر كما نوضحه بالتالي:

١ - امتثال لأمر المولى عز وجل:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. وفي معنى الصلاة في الآية الكريمة، قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

«قال البخاري رحمه الله تعالى: قال أبو العالية رحمه الله تعالى: صلاة الله تعالى: ثناؤه عليه عند الملائكة عليهم الصلاة والسلام، وصلاة الملائكة: الدعاء، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: يُصَلُّونَ: يبرِّكون.

ولبيان أجر الامتثال لأمر الله العظيم، قال الإمام السعدي رحمه الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ اقتداءً بالله سبحانه وملائكته عليهم الصلاة والسلام، وجزاءً له ﷺ على بعض حقوقه عليكم، وتكميلاً لإيمانكم، وتعظيماً له ﷺ، ومحبةً وإكراماً، وزيادةً في حسناتكم، وتكفيراً من سيئاتكم.

٢ - ذكر الله ذي الجلال والإكرام لعبده:

قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]،



وذكرُ الله تعالى يكون بكل أنواع الطاعات التي أمر الله سبحانه بها، وهو (أي الذكر) من أجل السبل لشكر الله العظيم على نعمه، والصلاةُ على رسول الله ﷺ من أقرب السبل لذكر الله سبحانه، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يقول الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربتُ إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربتُ إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولةً)؛ (رواه البخاري ومسلم). قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «من فوائد الذكر أنه يورثه ذكر الله تعالى له، كما قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها، لكفى بها فضلاً وشرفاً». وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى: «مَا تَنَعَّمَ الْمُتَنَعِّمُونَ بِمِثْلِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى».

٣- وصول صلاة وسلام العبد للمصطفى:

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من أحدٍ يسلم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ رُوحِي حتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ)؛ (رواه أبو داود) وفي الحديث الشريف يقول الشيخ محمد صالح المنجد حفظه الله تعالى: «لقد مات النبي عليه الصلاة والسلام وخرج من هذه الدنيا، والمؤمن يُريد صلة بنبيِّه عليه الصلاة والسلام مباشرة، فجعل الله تعالى لنا هذه الوسيلة المباشرة، فنصلي على نبينا ﷺ فيبلغ بالاسم أن فلاناً صلى عليه، ثم يرد علينا السلام أيضاً. وفي الحديث النبوي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قُبُري عيداً، وصلُّوا عليَّ؛ فإنَّ صلاتكم تبلغني حيثُ كنتم)؛ (راه أبو داود).

وفي الحديثين الشريفين السابقين بيانٌ لعظم أجر الصلاة على رسول الله ﷺ، وهي صلة قويّة بين النبي ﷺ وبين أحبائه من المؤمنين، الذين يتعاهدون على هذا



الحب بطاعة الله تعالى، وطاعة الرسول ﷺ، وملازمة الصلاة والسلام عليه.

يقول الشيخ عبدالعزيز الطريفي حفظه الله تعالى: «من تعظيم الله تعالى تعظيمُ نبيه ﷺ، ومن تعظيم نبيه ﷺ كثرةُ الصلاة عليه في أفضل الأيام يوم الجمعة».

٤ - الصلاة على النبي من علامات الجود:

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عَنْدهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ أُنْسَلَخَ قَبْلُ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عَنْدهُ أَبَوَاهُ الْكَبَرُ فَلَمْ يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ)؛ (رواه الترمذي). وعن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما قال: قال: قال رسول الله ﷺ: (الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عَنْدهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ).

قال الفاكهاني رحمه الله تعالى: «حديث: (البخيل من ذُكِرْتُ عَنْدهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ)، يُقَوِّي قول مَنْ قال بوجوب الصلاة عليه ﷺ كلما ذُكر، وهو الذي أُميل إليه.

٥ - الصلاة على النبي من علامات الإيمان:

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)؛ (رواه البخاري ومسلم). والمحبة الكاملة هي طاعةُ الله سبحانه فيما أمر به، وطاعة النبي ﷺ في كلِّ ما أمر به، والصلاةُ على النبي ﷺ من هذه القربات والطاعات التي تنمي هذا الحب وتثمره خصوصاً وهو الذي دعا لنا الكثير الكثير فَقَدْ كَانَ ﷺ يَسْهَرُ اللَّيَالِي وَيَقُومُ دَاعِيًا رَبَّهُ خَوْفًا عَلَى أُمَّتِهِ؛ وَلَيْسَ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ - فَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؛ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنِّهِنَّ أَصْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَنَنْبَغِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ (إبراهيم: ٣٦)، وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَاتَهُمْ



عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ (المائدة: ١١٨)، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي»، وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا جَبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبِّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟» فَاتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللَّهُ: «يَا جَبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُضِيقَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسْوَأُكَ».

٦- الصلاة على النبي توقير له:

قال الله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿٩﴾ [الفتح: ٩].

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ أَمَّنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وفي الآية الكريمة يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «إن الله أمر بتعزيز الرسول ﷺ، فقال: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩]، والتعزيز اسم جامع لنصر الرسول ﷺ، وتأيد الرسول، ومنعه من كل ما يؤذيه، والتوقير اسم جامع لكل ما فيه سكينه وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يتم توقير الرسول ﷺ بالتشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرج به عن حدِّ الوقار. ولذلك فإن الصلاة على الرسول ﷺ من علامات التوقير والتشريف التي يجب أن يحرص عليها المسلم، وهي من موارد الصلاح التي يسعى بها المسلم أن يكون في زمرة المفلحين.



٧- صلاة الله تعالى على العبد، تمحو الخطايا، وترفع الدرجات:

عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (أَوَّلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَى صَلَاةٍ) (رواه الترمذي)، وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (مَنْ صَلَّى عَلَى صَلَاةٍ وَاحِدَةٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ)؛ (رواه النسائي).

فالسعيد كل السعادة مَنْ لَازِمَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فهي نبع للحسنات التي تثقل الميزان، وهي تمحو الخطايا التي تثقل كاهل المرء يوم القيامة، وهي ترفع الدرجات التي يصبو لها المسلم لمصاحبة الأولياء والتنعيم بما سينعم به الصالحون.

٨- الصلاة على النبي سبب في استجابة الدعاء:

إِنَّ الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ يَسْأَلُ بِهَا الْعَبْدُ اللَّهَ الْكَرِيمَ، وَيُلَوِّذُ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ الْكَرْبَاتِ وَالْمَصَائِبِ وَالْعَذَابِ؛ طَمَعًا فِي اسْتِجَابَةِ اللَّهِ الْوَاسِعِ الْمُحْسِنِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]؛ ولذا فالمسلم يتحرى أسباب الاستجابة، وَمِنْ أَعْظَمِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ ابْتِدَاءُ الدُّعَاءِ بِحَمْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَالصَّلَاةِ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ؛ فَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: «سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (عَجَلْ هَذَا)، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ أَوْ لغيره: (إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدَ مَا شَاءَ)؛ (رواه الترمذي).

٩- مغفرة الذنوب والتخلص من الهموم:

عَنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَكْثَرُ الصَّلَاةِ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: (مَا شِئْتَ)، قَالَ: قُلْتُ:



الرَّابِعَ؟ قَالَ: (مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ)، قُلْتُ: النِّصْفَ؟ قَالَ: (مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ)، قَالَ: قُلْتُ: فَالثَّلَاثِينَ؟ قَالَ: (مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ)، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: (إِذَا تُكْفَى هَمُّكَ، وَيُغْفَرَ لَكَ ذَنْبُكَ)؛ (رواه الترمذي). قَالَ الشُّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «قَوْلُهُ ﷺ: (إِذَا تُكْفَى هَمُّكَ وَيُغْفَرَ لَكَ ذَنْبُكَ)، فِي هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ جَمَاعُ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَإِنْ مَنَّ كَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى هَمَّهُ، سَلِمَ مِنْ مَحَنِ الدُّنْيَا وَعَوَارِضِهَا؛ لِأَنَّ كُلَّ مَحْنَةٍ لَا بَدَ لَهَا مِنْ تَأْثِيرِ الْهَمِّ وَإِنْ كَانَتْ يَسِيرَةً، وَمَنْ غَفَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ذَنْبَهُ، سَلِمَ مِنْ مَحَنِ الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُبْقِي الْعَبْدَ فِيهَا إِلَّا ذَنْبُهُ».

وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ شِفَاءٌ وَدَوَاءٌ لَذَوِي الْهَمُومِ وَالذُّنُوبِ؛ وَلِذَا فَلْنَحْرِصْ وَنَتَابِرْ عَلَى هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ. وَقَالَ الْإِمَامُ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «لَوْ لَمْ يَكُنْ لَصَاحِبِ الْحَدِيثِ فَائِدَةٌ إِلَّا الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّهُ يَصْلِي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ».

الفصل الثاني : حب الملائكة وجبريل







المقدمة

لا شك بأن الملائكة وعلى رأسهم جبريل عليه السلام أعلم بالله عز وجل وقدرته من أغلب أهل الأرض والسماء فهم أقرب لله وأكثر معرفة بالله وهم جنده الذين لا نراهم ولا نعلمهم غير خاضعين لإغواء الشيطان الرجيم وغير مخيرين لذلك فهم أكثر رهبة وعبادة لله عز وجل، وفي هذا الفصل سنحاول التعرف على حب الملائكة بشكل عام وجبريل بشكل خاص واهتمامهم وتوقيرهم ودعائهم وعلاقتهم بالمصطفى ﷺ وحبهم وتبجيلهم له، ولأنهم عالمين ببعض شئون الله عز وجل مطلعين على بعض خلقه ومقدرته ويلمسونها يضعون الأمور بمنازلها فلا تغريهم الدنيا وما فيها ولا يخيفهم سلطة ملوك الأرض ولا يملكون لأنهم يرون الخلق بحقيقته وقد رأوه المصطفى ﷺ وما فيه خلق وعبادة وإخلاص ويعلمون منزلته عند المولى فهو المصطفى وسيد الخلق خليل الرحمن يحبونه لحب الله عز وجل له ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦) فيا لها من كلمات موجزة تعبر عن حب وموالاتة وتبجيل وتقدير للمصطفى ﷺ من رب الكون وجنده وملائكته.

أولاً: وصية المصطفى لمجالس الذكر والمجاهدين لاجتماع الملائكة فيها:

لقد حرص المصطفى ﷺ على مجالس الذكر لأهميتها كما ذكرني أحاديث كثيرة ان الملائكة يدعون لعباد الله المؤمنين ويؤيدونه ويذكرونه في مجالسهم كما سنبينه أدناه:

١ - ملك الجبال وجبريل ينزلان لنصرة الرسول

عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: (لقد لقيت من



قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فتاداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليه الأخشين، فقال له رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج من أوصالهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا (رواه مسلم).

٢- الملائكة يؤمنون على دعاء الرسول

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (إذا حضرتم المريض أو الميت، فقولوا خيرا، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون)، قالت أم سلمة: فلما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات، قال: قولي: (اللهم اغفر لي وله واعقبني منه عقبة حسنة) قالت: «فأعقبني الله من هو خير لي منه بمحمدا ﷺ» (صحيح الترمذي).

٣- الملائكة تظلل شهيد غزوة أحد

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (جيء بأبي يوم أحد قد مُثِّلَ به حتى وضع بين يدي رسول الله ﷺ وقد سُجِّي ثوبا، فذهبت أريد أن أكشف عنه فنهاني قومي، ثم ذهبت أكشف عنه فنهاني قومي فأمر رسول الله ﷺ برفع، فسمع صوت صائحة فقال: من هذه؟ فقالوا: ابنة عمرو. أو أخت عمرو قال: فلم تبكي؟ تبكي أو لا تبكي فما زالت الملائكة تظللُه بأجنحتها حتى رفع) (رواه البخاري).



٤ - الملائكة تضرب مثلاً للنبي

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم... فقالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مائدة وبعث داعياً فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المائدة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المائدة فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، قالوا: فالدار الجنة، والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس) (صحيح البخاري)

٥ - الملائكة يكتبون أسماء مصلي الجمعة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر، ومثل المهجر كمثل الذي يهدي البدنة، ثم كالذي يهدي بقرة، ثم كالذي يهدي كبش، ثم كالذي يهدي الدجاجة، ثم كالذي يهدي البيضة) (رواه مسلم).

٦ - الملائكة يصلون على العبد إذا جلس ينتظر الصلاة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (صلاة الرجل... فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صَلَّى فيه يقولون: اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، اللهم تب عليه، ما لم يحدث فيه) (متفق عليه).



٧- الملائكة يبلغون النبي

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام) (صحيح النسائي).

٨- الملائكة تصلي على من صلى على المصطفى

عن عبد الله بن عامر يحدث عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب ويقول: (من صلى علي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي، فليقل عبد من ذلك أو ليكثر) (صحيح ابن ماجه).

٩- الملائكة يؤمنون على دعاء المسلم لأخيه

عن أبو الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: (ما من عبد يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بالمثل) (رواه مسلم).

ثانياً: حب جبريل للمصطفى

لقد بدأت رعاية جبريل عليه السلام للمصطفى ﷺ منذ طفولته عندما غسل جبريل قلب النبي الذي كان في الرابعة من عمره الى أن نزل عليه في أول البعث بغار حراء ليلبغه بالرسالة ويشره بالنبوة ثم بقى متردداً عليه حتى لحق بالرفيق الأعلى في حوض أمنا عائشة رضي الله عنها، ثلاثاً وعشرين عاماً متردداً على رسولنا الكريم بالوحي الإلهي، يعلمه القرآن الكريم وأركان الدين العظيم ويواسيه بأخبار السابقين، ويثبت قلبه في المواقف الصعبة وهذا ما هيئ الأمور لحب ليس له مثل بين أعظم بشر خلقه الله عز وجل من طين، وأعظم ملك خلقه الله عز وجل من نور وأوكل الله سبحانه وتعالى إلى الملك جبريل عليه السلام مهمة عظيمة، وهي تلقي الوحي من رب العزة وإنزاله إلى رسل الله تعالى



وأنبياؤه فهو الوسيط الأمين لذلك كان سيدنا جبريل عليه السلام بأخلاقهم وأقدارهم ويعلم كيف تعاملهم مع أقوامهم والأزمات.

أنزلت التوراة على موسى عليه السلام والزبور على داود عليه السلام والإنجيل على عيسى عليه السلام في كل ذلك كان جبريل صلة الوصل بين الله ورسوله، أما رسول الله ﷺ فقد توثقت علاقة وطيدة بينه وبين جبريل ظهرت في عدة أحداث منها : رحلة الاسراء والمعراج، ومنها قتاله مع الملائكة في غزوة بدر الى جانب رسول الله ﷺ، بل وتعلم جبريل عليه السلام من الرسول ﷺ الخلق الحسن والصبر على البلاء وحب الله عز وجل حياً ليس له مثيل وسنعرض بعض تلك المواقف التي كشفت ذلك وزادت اعجاب وحب جبريل لرسولنا الكريم ﷺ صاحب الخلق العظيم والقول المأثور والصابر على شتى البلاء في سبيل وجه العزيز الحكيم، وإليكم صوراً منها :

١- تعرض رسول الله ﷺ للخطر من شياطين تتحدّر من الأودية والشعاب ويبد واحد منهم شعلة يريد حرق وجه الرسول، هنا يأتي جبريل عليه السلام ويعلمه ذكراً يطفئ نارهم: «أعوذ بكلمات الله التامات» (صحيح الجامع).

٢- يحكي ابن عباس رضي الله عنه أن الرسول ﷺ اشتكى ضيق حال أهله لجبريل قائلاً: «ما أمسى لآل محمد سفة من دقيق»، فأرسل الله إليه إسرافيل عارضاً عليه مفاتيح خزائن الأرض، وخيراً إياه بين أمرين: «نبي ملك» أم «عبد رسول؟»، فأوعز إليه جبريل بإشارة فهمها النبي وقال: «بل عبداً رسولاً» (الترغيب والترهيب).

٣- قبيل هجرته بساعات، خطّطت قریش للتجمع حول بيت النبي ﷺ وقتله فيتشتت دمه في القبائل ويضيع ثأره؛ خطة مُحكمة ان ابليس نفسه لعنه الله





بدا للجميع أنها مضمونة النجاح لولا أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ ونصحه ألا يبيت في مكانه ففعل الرسول ﷺ ونجح في الخروج من داره سالماً والنجاة من مكرهم.

حتى في شأن زوجاته الكريمات رضي الله عنهن، كان لجبريل أحياناً دور مساند، فهو أول من أشار على النبي ﷺ بالزواج من عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما عندما جاءه بصورة لها في خرقة من حرير أخضر مخبراً له أن صاحبة الصورة زوجته في الدنيا والآخرة. وعندما وجد على زوجته حفصة بنت عمر رضي الله عنها وأراد تطليقها، أتاه جبريل بأمر من الله وطالبه بأنه يراجعها لأنها صوامة وقوامة وهي زوجتك في الجنة.

ثالثاً : جبريل والمصطفى

جبريل سيد الملائكة وكبيرهم وهو الواسطة بين الله ورسله في الوحي والأوامر والرسالات، وقد رافق جبريل رسول الله ﷺ من حين نزول الوحي عليه في غار حراء الى يوم بل وقبل ذلك منذ طفولته وعندما شق عن صدره الشريف الى يوم وفاته.

من صفات جبريل أنه شديد القوى، كما قال تعالى في محكم آياته، فقد منحه الله عز وجل قوةً وفضلاً على باقي الملائكة حتى يكون قادراً على القيام بمهامه العظيمة التي أوكلت اليه، وجبريل مطاع أمين : تطيعه الملائكة جميعاً، وهو مؤتمن على الوحي والرسائل السماوية، أما صفات جبريل الخلقية فله ستمائة جناح كبيرة يسد ما بين الافقين كما أنه سريع في الحركة يفوق البصر ومن أهم أسائه الروح الأمين لما يحيي به النفوس ولأمانته العظيمة وامثاله لأمر الله عز وجل فهو من خيار الملائكة كما ذكره الرسول ﷺ.



وتؤكد كتب الحديث أن جبريل عليه السلام كان يتجسّد كثيراً للنبي في صورة أحد أصحابه من ذوي الهيئات الحسنة وهو دحية الكلبي كما أنه لم يره الرسول على هيئته الحقيقية إلا مرتين، وفقاً لما رواه ابن مسعود رضي الله عنه، الأولى: ليلة الإسراء والمعراج فتجلّى له عند ستره المنتهى، وكان له «سِتْمَاءٌ جَنَاحٌ يَتَنَاضَرُ مِنْهَا التَّهَاقُلُ الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ»، أما الثانية، فكانت بناءً على طلبه الشخصي ﷺ الذي دعا الله من أجل تحقيقه، ف«طَلَعَ [جبريل] عَلَيْهِ سَوَادٌ مِنْ قَبْلِ الْمَشْرِقِ» أخذ يرتفع وينتشر وفور أن رآه النبي ﷺ صعق (صحيح الترمذي).

وعن عبدالله بن أبي طلحة عن أبيه أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبشر في وجهه فقال: (إنه جاءني جبريل فقال: أما يرضيك يا محمد ان لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشراً، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلّمت عليه عشراً) (صحيح النسائي). عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: (من ذكرت عنده فليصل عليّ ومن صلى عليّ مرة صلى الله عليه عشراً). وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: (إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام) (صحيح النسائي).

رابعاً: قصص في حب جبريل للمصطفى

واعتماداً على المظلة القرآنية التي وطدت العلاقة بين النبي ﷺ وجبريل الى حادثة الإسراء والمعراج التي تُعتبر أبرز ما شهداه سوياً، فإن السيرة النبوية حفظت لنا عدداً من المواقف التي أنبأت بـ«صداقة» قامت بين الطرفين، كان للروح الأمين في لحظات مفصلية من حياة النبي ﷺ أدوار مهمة في النصيح والمواساة والمؤازرة.

١ - كثيراً ما كان سيدنا جبريل يوصي الرسول ﷺ فتارة يوصيه بالجار، وتارة بالحجامة وتارة بغيرها من أمور الدين والدنيا، ولم يقتصر دور جبريل في حياة



النبي على نقل القرآن والوحي وحسب، وإنما حفلت الرويات بوصايا ونصائح من الروح الأمين لصاحبه الحبيب ﷺ خاتم الأنبياء وسيد المرسلين.

٢- بينما كان النبي ﷺ - مُحتلياً بنفسه في غار حراء يتعبد الله على دين أبيه إبراهيم ويتفكر في ملكوت السماوات والأرض، بُوغت بمن يضمه إليه ويكلمه بصوت غريب يهتف به: «اقرأ»، فأجابه على الفور: «ما أنا بقارئ»، تكرر الأمر وتكرر الجواب مرتين بعدها، إذا كانت الثالثة ضمه بقوة حتى كاد صدره يضيق بالنفس وبلغ منه الجهد مبلغه، ثم تلا عليه: «اقرأ باسم ربك الذي خلق»، حتى بلغ: «علم الإنسان ما لم يعلم» (صحيح البخاري)، خاف النبي مما حدث وخرج من الغار مسرعاً نحو بيته حتى بلغ منزله مرتجفاً حيث «تلقت» زوجته خديجة وسكنت روعه وزملته، لم يكن يعلم بعد أنه مر بلقاء الأول مع صاحبه المقبل في الرسالة، الملاك جبريل عليه السلام.

٣- يخبر اليهود رسول الله ﷺ أن ملاكه المقرب منه (جبريل) عدوهم لأنه نزل بعذابهم، فيتحداهم الرسول قائلاً: «ولبي جبريل ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو له ولي» ونزل قول الله تعالى ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٩٨).

٤- من الثابت في الحديث عندما يحب الله عز وجل عبداً يأمر جبريل بحبه فيحبه وينادي أن الله عز وجل يحب فلان فأحبه فيحبه أهل السماء والأرض... ولما كان محمد عليه الصلاة والسلام أحب الخلق إلى الله فإنه مما لا شك فيه قد أمر جبريل بحب رسول الله ﷺ فيحبه فهو حب بعد حب الله عز وجل كما بينه الحديث.

٥- ان رحلة الاسراء والمعراج ذات أهمية قصوى حيث فرض الله على النبي وأمة الصلاة وكما تعرف على ملكوت السماوات وعلم بعض أخبار الجنة والنار



والحساب ورأى الملائكة العظام والرسل والأنبياء الصالحين بعد أن أمهم بالصلاة قبل أن يعرج الى السماء وأغلب هذا مع سيدنا جبريل .

٦ - افتقد رسولنا الكريم ﷺ جبريل عليه السلام واشتد شوقه اليه حتى سأله (ألا تزورنا أكثر مما تزورنا) (رواه البخاري) ويا لها من عبادة بين حبيبين قال فنزلت الآية « وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا » ، وكان هذا جواب جبريل لسيدنا محمد ﷺ بأمر من الله عز وجل .

٧ - عندما اشتد البلاء على رسولنا الكريم ﷺ يوم الطائف بعدما عرض نفسه على سادة الطائف ليسلموا وليجروه كي يبلغ رسالته فكذبوه وردوه وطردوه فأرسل الله عز وجل اليه ملك الجبال مع جبريل عليه السلام لكي يأمره ان شاء بتأديب المشركين وهنا المفاجأة، فقد رفض رسولنا الكريم ﷺ أن يدعو بهلاك الطائف ودعى لهم ولذريتهم مخالفاً ما سبق من عادة الرسل وكان هذا من رحمة نبينا الكريم ﷺ وشدة إيمانه .

٨ - عندما وضع اليهود السحر لرسولنا الكريم ﷺ رقه جبريل ودعا له وكان يفعل ذلك عندما يمرض، واذا اشتكى وجعاً علمه أجمل الدعاء والمناجاة لله عز وجل، فعندما مرض النبي أتاه وسأله: «يا محمدُ اشتَكَيْتَ؟»، ولما أجابه بالإيجاب رقه بنفسه: «باسمِ اللهِ أَرِقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ ...» (رواه مسلم)، وربما كانت هي ذات الكلمات التي كانت ترقيه بها زوجته الحبيبة عائشة لحظات مرضه الأخير، بينما كان رأسه في حجرها، وهو يقول كلما أفاق «لا بَلْ أَسْأَلُ اللهَ الرَّفِيقَ الأعلى مع جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ»، وإن من المعلوم أن جبريل هو الذي علمه الصلاة وأنواعها وكيفيتها وأوقاتها وأركانها كما علمه الصيام وباقي العبادات .



٩- عندما رجع رسول الله ﷺ بجيشه من غزوة الخندق وضع سلاحه وأراد أن يرتاح ويغتسل أنه جبريل فأخبره بأنه والملائكة لم يضعوا الأسلحة بعد، وأشار إليه بالذهاب إلى بني قريظة الذين خانوا العهد ليعاقبهم، وبالفعل حصل ذلك، كما تروي عائشة أنه بعدما حشد الرسول صحابته وساروا ناحيتهم، مرّ بهم دحية الكلبي «على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج»، فأوضح لهم النبي ﷺ أنه ليس الرجل المعروف وإنما هو: «جبريل أرسل إلى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب...» (صحيح على شرط الشيخين).

١٠- كان جبريل عليه السلام يراجع القرآن الكريم طوال شهر رمضان المبارك مع رسول الله ﷺ كل سنة فيختمه مرة واحدة إلا آخر سنة من عمره ﷺ راجعه القرآن مرتين، وكان جبريل عليه السلام يقضي الساعات الطويلة مع رسول الله ﷺ في بيته وبحضور زوجاته أمهات المؤمنين وبناته وأحفاده وأصحابه دون أن يروه.

١١- يحكي ابن عباس رضي الله عنه أنه بينما كان الصحابة ينظمون صفوفهم استعداداً لقتال المشركين في غزوة بدر، أشار الرسول ﷺ إلى رجل مسلح التحق بهم راكباً على جواد مهيب، وقال لهم: هذا جبريل. وعند ذلك ينقل طلحة بن عبيد الله الذي روى هذا الحديث أن الشيطان ما أن رأى جبريل ضمن صفوف مقاتلي المؤمنين حتى لم ير يوماً أصغر ولا أحقر ولا أذحر.

١٢- عندما أراد قوم من قبيلة جهينة مباغته النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم وقتلهم خلال أداء صلاة العصر، جاء جبريل عليه السلام فأفشى هذا النبأ للرسول ﷺ، وكان هذا سبب صلاة الحرب أو «صلاة الخوف» لأول مرة وصلّوا تبعاً كي لا ينصرف انتباههم بالكلية عن الأعداء.



١٣- يوم أحد، فيروي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه رأى في لحظات احتدام القتال، عن يمين الرسول ﷺ وشماله رجلين عليهما ثياب بياض ما رأهما من قبل ولا بعد، وكان يعني بهما جبريل وميكائيل، وكان رسول الله ﷺ يسر بنصرة أصحابه بالغزوات كما كان يسر بنصرة روح القدس جبريل عليه السلام كما قال لحسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ «اللهم أمدّه بروح القدس» وهو يهجو قريش.

قد أفصح جبريل عليه السلام عدة مرات عن حبه لرسول الله ﷺ ليس قولاً فحسب بل وبأفعال كثيرة فعندما اشتكى رسولنا الكريم من مضايقة بعض كفار قريش أجابه جبريل «كفيتكم» وحقاً كفاه ولما حاول أبو جهل قتل الرسول ﷺ عند الكعبة أثناء سجوده كفاه جبريل فهرب أبو جهل مذعوراً والأحداث بهذا السياق كثيرة لا تحصى... ان حب جبريل لرسولنا الكريم ﷺ حقاً حب لا مثيل له.

وأخيراً عندما كان يتأخر في القدوم عليه كان النبي يشاق إليه، ويصبيه الوجوم على غيبته. تروي ميمونة بنت الحارث، زوج النبي، أن النبي أصبح واجماً منكراً لكل ما يرى بسبب عدم قدوم جبريل إليه كما وعده، ولما لقيه بعده أنبأه: «إنا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب». يسأله النبي: «يا جبريل، ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا»، فتنزل الآية الكريمة: «وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ»، لهذا يكون النبي في غاية سعادته خلال شهر رمضان حيث يلقاه سيدنا جبريل عليه السلام بشكل منتظم ليعرض جبريل عليه القرآن.



الفصل الثالث: حب المصطفى لآل بيته







المقدمة

تقول ماري كوريلي الانسان يقيم بحياته المنزلة ويُعدّ البيت المعيار الذي يُمكن من خلاله الحكم على الشخص وعلى أخلاقه؛ فهو المكان الذي يتصرّف فيه الإنسان على طبيعته دون تكلف، وأعظم مثال في الأخلاق الرفيعة في البيت ومع آل بيته النبي ﷺ، فقد سُئِلَت عائشة زوجة النبي ﷺ عن عمله في البيت، فقالت: (كان يخيّط ثوبه ويخسف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم) (صحيح ابن حبان)، اذ كان النبي ﷺ مثلاً للرجل المحب لأهله وبيته، وللتواضع لهم، فيخدم نفسه بنفسه، ويخدم أهله، وإذا سمع الأذان، خرج إلى الصلاة، وقد كان المصطفى ﷺ مثلاً في تعامله مع أهله فلا نعلم حب ولا رقي ومودة في التعامل تماثل معاملته واحتواءه لأهله وأستغرب أن لم يكتب بهذا الموضوع المهم كفاية في عصرنا الحالي الا قليلاً حيث زاد الطلاق والتفكك الأسري، فقد كان يود أهله ويزورهم ويقبلهم كل يوم فنحن في أشد الحاجة الى زيادة الترابط الأسري وخير مثال على ذلك رسولنا المصطفى ﷺ.

تعريف آل البيت لا تختلف كثيراً من الأهل في رأي علماء اللغة والأهل تشمل الزوجات والأسرة والعائلة الكبيرة والأقارب بما يشمل أهل الدار أما شرعاً فالبيت كما عرفها ابن الجوزي هم الأهل والقرابة المعتمد فيها على النسب وقد خاطب الله تعالى زوجات الرسول ﷺ أهل البيت عندما أمرهن بالحجاب ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣) وأصح الأقوال بآل البيت هم أزواج النبي ﷺ وذريته من نسل عبد المطلب، أي بنو هاشم بن عبد مناف لرفض الرسول ﷺ اعطائهم الصدقات كما بينه الحديث.



وحالياً نسل الرسول ﷺ من أبناء الحسن والحسين سيدا شباب الجنة ومن ذريته والذين يصل عددهم حالياً الى ٣٠-٤٠ مليون شخص كما أوضحه مفتي الأزهر أ.د. علي جمعة، فمنتهى طموح الرجال بالحياة سعادتهم المنزلية (جبران خليل جبران).

أما حب آل البيت وزوجات الرسول ﷺ فكان حب مليئ بالرحمة مملوء بالاحترام والتقدير والتبجيل والطاعة والالتزام بحدود الله والابتعاد عن الشبهات والاخلاص والتضحية كما سنبينه في هذا الفصل وقد عاش آل رسول الله ﷺ الكثير من الألم والحزن وسبب معاناتهم كانت لما يرونه من المحن والمصائب التي لاقت أبئهم سيد الخلق ﷺ.

أولاً: تعامل النبي مع أهله

تزوج النبي عليه الصلاة والسلام بالسيدة خديجة أم أبناءه وبناته وهو في الخامسة والعشرين من عمره، فأنجبت له بناته جميعهن، وهن: زينب، وأم كلثوم، ورقية، وفاطمة - رضي الله عنهن -، وكلهن أدركن الإسلام، وأسلمن، وقد توفيت ثلاث من بناته في حياته إلا فاطمة التي توفيت بعده بستة أشهر، وقد كان النبي كثير الحب والاهتمام والعناية بهن، وقد صدرت عنه الكثير من المواقف التي تبين هذه الصفة، فقد جاء الحديث عن عائشة يُبين كيفية تعامل النبي ﷺ مع ابنته فاطمة، واحترامه لها، وإكرامه إيّاها، فقد قالت: (كانت إذا دخلت عليه قام إليها، فأخذ بيدها وقبّلها وأجلّسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه، فأخذت بيده فقَبَلَتْه وأجلّسَتْه في مجلسها) (السنن الكبرى اسناده صحيح)، وكان ممّا يدلّ على شدة عنايته ببناته، واهتمامه باهتماماتهنّ ما رُوي عن بعض الصحابة من أنّه لما ماتت بعض بناته في حياته، وقفَ على القبر، وعيناه تدمعان؛ رحمة وشفقة بهنّ، ومن محبّته لهنّ أيضاً أنّه كان يهتمّ بشؤونهنّ، ويحلّ مشاكلهنّ، ومثال ذلك أنّ ابنته فاطمة



جاءته يوماً تشكو مما تجده من جهد العمل، فطلبت منه أن يحضر لها خادماً، فقال لها ولزوجها: (ألا أدلكما على ما هو خيرٌ لكما من خادم؟ إذا أويئتما إلى فراشكما، أو أخذتما مضاجعكما، فكبرا ثلاثاً وثلاثين، وسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمداً ثلاثاً وثلاثين، فهذا خيرٌ لكما من خادم) (رواه البخاري).

وتجدر الإشارة إلى أن النبي ﷺ كان لبناته نعم الأب، وقد شكّل بذلك قدوة عظيمة لحبه لآله؛ إذ عاملهنّ بالرحمة، والحكمة، وظهر ذلك في الكثير من مواقف حياته، ومنها:

١ - اهتمامه الشديد بهنّ عند مرضهنّ؛ فقد أمر النبيّ عثمان بن عفّان رضي الله عنه أن يبقى عند زوجته رقية؛ ابنة رسول الله ﷺ، ويهتم بها عندما أراد التوجّه إلى غزوة بدر؛ إذ كانت مريضة.

٢ - دعوته إياهنّ إلى الإسلام وتعليمهنّ التوحيد الخاص بالرحمة، والحسنى؛ فقد جاء في الحديث أنّه لما أمر الله نبيّه بالجهر بالدعوة، نادى على الناس وكان من ضمنهم ابنته فاطمة، فقال لها: (ويا فاطمة بنت محمدٍ سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً) (صحيح الجامع).

٣ - إدخال الفرح إلى قلوبهنّ، كما كان يأتمنهنّ على أسرارهنّ، ويقوم لهنّ، ويحسن استقبالهنّ، بالإضافة إلى أنّه سارع إلى تزويجهنّ لدى بلوغهنّ، بعد ما رأى رجاحة عقلهنّ ودينهنّ، وكان يأمرهنّ بالحجاب، ولبس الساتر من الثياب.

٤ - تدخل النبي ﷺ في حلّ الخلافات التي تقع بينهنّ، وبين أزواجهنّ، فقد طلب الشفاعة ذات يوم لإطلاق زوج ابنته المأسور أبي العاص ورد العقد الذي أرسل لفدائه، وكان يُشاركهنّ في عقيقة أبنائهنّ ومما يدلّ على استمرار هذا الاهتمام



حتى بعد وفاتهنَّ أنه اهتمَّ بتغسيلهنَّ، ووضع بعض ثيابه مع إحداهنَّ، وحضر جنازتهنَّ، ودفنهنَّ.

كان الوفاء من شيمته ﷺ وكان أوفى الناس لزوجته السيدة خديجة - رضي الله عنها-، ومن ذلك أنه ﷺ كان يحن لذكراها ويثني عليها.. ولما أكثر النبي ﷺ من ذكرها ذات مرة قالت عائشة - رضي الله عنها- وقد غارت: «(قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا) وهنا قام رسول الله ﷺ مدافعاً عنها ومُعدداً مآثرها وأفضالها، مما يدل على حُسن وفائه ﷺ لها وحفظه لذكراها وجميل معشرها، فقال ﷺ: (مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا؛ قَدْ آمَنْتُ بِإِذْ كَفَرِ بِالنَّاسِ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَأَسْتَنِي بِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النَّسَاءِ) (رواه أحمد). بل كان ﷺ من حُسن وفائه لزوجته السيدة خديجة - رضي الله عنها- أنه كان يُكرم صديقاتها، فكان يشتري الشاة فيذبحها ثم يقول: (أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ) (صحيح الجامع).

ثانياً: تعامل المصطفى ﷺ مع زوجاته

يقول هربرت أب واحد يساوي مائة معلم فما بالك ونحن نتحدث على أبوة المصطفى ﷺ سيد الخلق وخاتم المرسلين.

كان النبي يُعامل أحفاده بالرحمة، واللفظ، وكثر من الحب، وقد تجلَّى اهتمامه بهم في كثير من المواقف والصور، ومن ذلك أنه كان يُصلي بالناس ذات يوم، فجاءته أُمّامة؛ وهي بنت ابنته زينب، فإذا كان واقفاً حملها بين يديه، وإذا سجد وضعها على الأرض فحقاً ليس ما يشجع الرجل على ممارسة الفضائل كأسرة تكون شاهداً وحكماً فتكسبه الاحترام (أوفيد).



كان ذات يوم يُصَلِّي، فجاءه الحسن، والحسين، فركبا على ظهره وهو ساجد، فأطال في سجوده إلى أن ذهباً.

كان ذات يوم يخطب بالناس، فرأى الحسن والحسين وقد لبسا ثوبين جديدين، فنزل عن المنبر، ووضعهما بين يديه، وقرأ قول الله: (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ)، ومن حبه لأحفاده أنه كان يسميهم بأحسن الأسماء، ويُقبلهم، ويُلاعبهم، ويضحك معهم، ويرقيهم في حال مرض أحدهم، وكان يُجلس بعضهم على الدابة. وبهذا يتبين أنَّ علاقته بهم كانت علاقة المحبِّ لهم، والحنون عليهم، فحقاً صلاح الآباء يدرك الابقاء (حكمة سعودية) وحقاً عندما نستعرض شريط حياتك لا تجد سعادة أكبر من الهناء العائلي (جونسون).

قوة الانسان هي التي تنمي فيه حب الآخرين وكان للرسول ﷺ كثير من المواقف التي تنمي محبتهم وتُبين محبته لزوجاته وحبه الشديد لهن، فقد كان لهن نعم الزوج، وكان يعاملهن بأفضل معاملة، ومن مواقفه لهن:

١ - عطف المصطفى ﷺ عليهن، ومؤانسته لهن في الليل، وإيصالهن إلى حُجراتهن، ومُساعدتهن في تخفيف الأعباء، والمَشَقَّة عنهن، بل كان يساعدهن في الصعود على الدابة. وجاءت زوجته صفية رضي الله عنها يوماً وهو مُعتكف في المسجد، فتحدّثا إلى بعضهما، وعندما أرادت الانصراف، قام معها النبي، وأوصلها إلى بيتها، وهذا من حب ورحمة النبي ﷺ بزوجاته، وقد كان يقوم الليل، ويسهر مع زوجاته، ويتحدّث معهن أيضاً.

٢ - تحمُّله وصبره عليهنّ ممّا قد يقع منهنّ من الغيرة، أو شدة مناقشتهم إيّاه، علماً بأنّ هذه التصرفات كانت غير مقبولة لدى قريش، إلّا أنّ النبي عليه الصلاة والسلام أراد أن يُعلِّم الناس أنّ هذا من الأخلاق العالية للرجل.



٣- صبره على هجرته له؛ فقد كان النبي يتقبل من نسائه مناقشتهن إياه في كلامه، فقد أنكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه على بنته حفصة ردّ كلامه إليه، فقالت له: (فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وتهجره إحداهنّ اليوم إلى الليل) (إسناده صحيح).

٤- صبره على سؤالهنّ إياه النفقة الزائدة مما ليس عنده، فقد كان النبي ﷺ يتحملهن في ذلك، ويصبر على الأمور التي قد تعكر صفو الحياة الزوجية، ومن ذلك أنه جلس وحيداً لا يأذن لأحد بالدخول إليه إلا لأبي بكر، وعمر رضي الله عنهما ولما سألاه عن سبب سكوته أخبرهما أنه بسبب سؤال زوجاته النفقة مما ليس عنده.

٥- صبره على ما يقع منهنّ من تصرّفات مختلفة، كفعل إحداهنّ أمراً دون علمه، فلا يُعنفها، بل يصبر عليها، ويرحمها عليه الصلاة والسلام.

٦- صبره على سؤالهنّ له في مسائل شرعية؛ فقد كان النبي ﷺ أعلم الناس بدين الله، وكنّ يسألنه كثيراً، ويُجادلنه في بعض المسائل الشرعية، وكان هو بدوره يُعاملهنّ بلطف، ولين، ومن ذلك مثلاً حديث النبي عليه الصلاة والسلام مع حفصة رضي الله عنها حول أصحاب الشجرة عندما قال: (لا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا قَالَتْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاَنْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) فقال النبي ﷺ: قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾ (مريم: ٧٢) (رواه مسلم).

٧- صبره عليه الصلاة والسلام على ما يقع منهنّ من تصرّفات مختلفة، كفعل إحداهنّ أمراً دون علمه، فلا يُعنفها، بل يصبر عليها، ويرحمها.



٨- إسعادهنّ؛ فقد كان حريصاً كلّ الحرص على إدخال الفرح، والسرور على زوجاته، بأن يتعامل مع كلّ واحدةٍ منهنّ بما يُناسب عُمرها، وميولها، ومن ذلك موقفه مع زوجته عائشة -رضي الله عنها-، حيث تقول: (لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي وَالْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، أَنْظُرُ إِلَى لَعِبِهِمْ) (رواه البخاري) كما أنه كان يناديها بالحميراء، لما فيها من معاني الدلائل والمحبة لها.

٩- مُشاورتهنّ، والاهتمام بآرائهنّ؛ فكان النبيّ يأخذ آراءهنّ في بعض أمور الدين، والدولة، ومن ذلك مُشاورته لزوجته أم سلمة -رضي الله عنها- في صلح الحديبية عندما أمر الصحابة بالتحلل من إحرامهم، فلم يغفل أحدٌ منهم ذلك، فخاف عليهم لذلك، فاستشار زوجته أم سلمة في ذلك، فقالت له: (اخْرُجْ ثُمَّ لَا تَكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحْرَ بُدْنِهِ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا) (فتح الباري)، وهذه المشورة تزرع السكّن والمودة بين الزوجين، فينسى الرجل همومه، وأعماله، ويكون بذلك مُحبًّا لأهل بيته.

١٠- التلطف معهنّ

فقد كان يُنادي عائشة بترخيم اسمها، فينادي يا عاتق، هذا جبريل يقرئك السلام، ويخبرها بالأخبار السعيدة، ويتعامل معها بكلّ لطف، ومن ذلك حديث عائشة -رضي الله عنها-: (كُنْتُ أَشْرَبُ مِنَ الْقَدَحِ وَأَنَا حَائِضٌ، فَأَنَاوَلُهُ النَّبِيُّ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعٍ فِيَّ، فَيَشْرَبُ مِنْهُ، وَأَتَعَرَّقُ الْعَرَقَ وَأَنَا حَائِضٌ، فَأَنَاوَلُهُ النَّبِيُّ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعٍ فِيَّ) (صحيح النسائي)، وكان النبيّ يستغلّ أيّ موقف



لإدخال السرور عليهنّ، فقد رُوي أنّه تسابق مع عائشة مرّتين؛ فسبقته في الأولى، وسبقها في الثانية، وقال لها: هذه بتلك السبقة. (صحيح ابن داود).

١١ - مُعاملتهنّ بالموَدّة والرحمة، واللفظ وجبر الخواطر

دخل ذات يوم على صفية رضي الله عنها وهي تبكي، فسألها عن سبب بُكائها، فقالت إنّ حفصة عيّرتها بأنّها بنت يهوديّ، فقال لها النبي ﷺ: (إِنَّكَ لَابْنَةُ نَبِيٍّ وَإِنَّ عَمَّكَ لَنَبِيٍّ وَإِنَّكَ لَتَحْتَ نَبِيٍّ فَبِمَ تَفْخَرُ عَلَيْكَ) ثُمَّ قَالَ ﷺ: (أَتَقِي اللَّهَ يَا حَفْصَةُ) (صحيح الترمذي)، وفي هذا الحديث تطيب لخاطره حفصة بنت حيي، وبيان أنّها زوجة نبيّ، وأمّ للمؤمنين، كما أنّها تنتسب إلى نبيّين، هما: موسى، وهارون عليهما السلام، وفي مجال آخر من التودد والتحبّب، هناك موقف للنبي ﷺ مع زوجته الصديقة عائشة، حيث قال لها: (إِنِّي لَأَعْرِفُ غَضَبَكَ وَرِضَاكَ قَالَتْ: قُلْتُ: وَكَيْفَ تَعْرِفُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّكَ إِذَا كُنْتَ رَاضِيَةً قُلْتُ: بَلَى وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتَ سَاخِطَةً قُلْتُ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلٌ، لَسْتُ أَهَاجِرُ إِلَّا أَسْمَكَ) (رواه البخاري).

١٢ - وفاؤه لهن

وهذه الصفة ميزت بيت النبي ﷺ، ومن صور ذلك وفاؤه لزوجته خديجة، فلم يتزوج عليها حتى ماتت، لنصرتها النبي ودعوته، والوقوف الى جانبه بنفسها، ومالها، فبقي النبي وفياً لها حتى بعد وفاتها، حيث كان إذا ذبح شاه يرسل بعض اللحم الى أصدقائها، ويذكر مواقفها أمام زوجاته الأخريات.

١٣ - عدله مع نسائه

فالعدل هو الأساس الذي كان سائداً في بيت النبي ﷺ، حيث كان يعدل بين زوجاته بالمبيت، والنفقة، وحُسن العشرة؛ سواءً كان في الحضر، أو السفر،



وقد جعل لكل واحدةٍ منهنَّ حُجْرَةً خاصّةً بها، إضافةً إلى أنّه كان يبيت عند كلّ واحدةٍ منهنَّ ليلةً، ويؤزّع ما يكون معه بينهنَّ بالتساوي، وفي حال سفره يُقرع بينهنَّ قرعةً، فتسافر معه التي يخرج اسمها فيها، أمّا في حُجّة الوداع، فقد أخذهنَّ كلهنَّ، واستمرَّ النبيّ على هذا العدل حتى لما اشتدَّ عليه المرض، إلّا أنّه في النهاية أَسْتَأْذَنَ أزواجه في أن يمرض في حُجْرَةِ عائشة فأذِنَ له، وكان النبيّ يعتذر إلى الله فيما لا يستطيع العدل فيه؛ وهو المِلَّ القلبيّ؛ لأنَّ الإنسان لا يملك قلبه، وتحليل المتواضع أن أَمِنَا عائشة كانت أصغرهم سنّاً ولم يكن لديها من الأبناء شيء بخلاف بعض زوجات المصطفى ﷺ اللاتي رزقنه بأولاد من أزواجهم السابقين كما أن قرب منزلها من المسجد النبوي وحرصاً منه عليه الصلاة والسلام على المصلين والمسلمين الزائرين له الذين اكتظ بهم المسجد خوفاً عليه في أيامه الأخيرة والله أعلم.

ثالثاً: معاشرّة المصطفى ﷺ لأزواجه

لقد سؤل الرسول ﷺ من عمرو بن العاص رضي الله عنه قائلاً : أي الناس أحب إليك؟ فأجابه بكل صراحة ووضوح قائلاً : (عائشة) فقال ومن الرجال؟ فقال ﷺ (أبوها) (صحيح ابن ماجة) فالحب عند الرجل بعض وجوده وعند المرأة كل وجودها (لورد بيرون). لقد ضربَ النبيّ ﷺ أروع نموذج في المعاشرّة الزوجية، فكان بحقّ نعم الزوج لزوجته، وخير الناس لأهله، ولم لا وقد جعل ﷺ معيار خيرية الرجال في حُسن عشرة الزوجات فقال ﷺ: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي) (رواه الترمذي وابن ماجة)، فكان جميل العشرة معهن دائماً البشر، يداعبن ويتلفهن، ويعاملهن بكل سُمُوٍّ خلقي؛ من محبة وعدل ورحمة ووفاء، وغير ذلك مما تقتضيه الحياة الزوجية في جميع أحوالها؛ وسنعرض بعض مظاهر حسن عشرته ﷺ مع زوجاته، ومن ورفقه وحسن عشرته بهن أنه



ﷺ كان أحياناً يغتسل مع زوجته من إناء واحد، حتى تقول له: «دع لي»، ويقول لها: «دعي لي» (رواه مسلم)، وعن أنس رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي سَفَرٍ، وَكَانَ غُلَامٌ يَحْدُو بِهِنَّ يُقَالُ لَهُ: أَنْجَسَتْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رُؤْيُكَ يَا أَنْجَسَتْهُ، سَوْقُكَ بِالْقَوَارِيرِ» (متفق عليه).

قال الإمام النووي في شرحه للحديث: «ومعناه: الأمر بالرفق بهن...»، أي: ارفق في سوقك بالقوارير. قال العلماء: سَمَّى النساءَ قَوَارِيرَ؛ لضعف عزائمهن، تشبيهاً بقارورة الزجاج لضعفها، وإسراع الانكسار إليها»

وكان المصطفى ﷺ ينادي نساءه بتودد، فينادي مثلاً زوجته عائشة رضي الله عنها قائلاً: يا عائشُ، هذا جبريل يقرئك السلام، وكما تقول المقولة كلما رأيت رجلاً وصل بعلمه الى قمة المجد أيقنت أن الى جانبه امرأةٌ يحبها وتحبه (شيرل)، تقول أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عائشة -رضي الله عنها-: «كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبٌ يَلْعَبْنَ مَعِي، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا دَخَلَ يَنْقَمِعَنَّ -أَيَّ يَتَغَيَّبَنَّ مِنْهُ- فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ؛ فَيَلْعَبْنَ مَعِي» (رواه البخاري)، وقد روي لنا أنس رضي الله عنه موقفاً للنبي ﷺ مع إحدى زوجاته (السيدة صفية) وهي تحاول أن تركب على البعير، فيقول: «... فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بَعَاءَةً، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ» (رواه البخاري).

رابعاً: تعامل المصطفى مع أزواجه في الأزمات

أما في تعامله مع غيرة النساء فعن أم سلمة رضي الله عنها أَنَّهَا تَعْنِي أَتَتْ بِطَعَامٍ فِي صَحْفَةٍ لَهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَجَاءَتْ عَائِشَةُ -رضي الله عنها- مُؤْتَزِرَةً بِكِسَاءٍ، وَمَعَهَا فَهْرٌ (أي: حجر صغير)، فَفَلَقَتْ بِهِ الصَّحْفَةَ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ



فَلَقْتِي الصَّحْفَةَ، وَيَقُولُ: «كُلُوا، غَارَتْ أُمُّكُمْ».. مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَحْفَةً عَائِشَةَ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ، وَأَعْطَى صَحْفَةً أُمِّ سَلَمَةَ لِعَائِشَةَ (رواه النسائي).

ولكن ﷺ كان عادل رغم ذلك وكان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل ويقول:
(اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك) (يعني القلب)
(رواه الحاكم).

يقول المفكر يرون مأساة الحب أن الرجل يريد أن يكون أول من يدخل قلب المرأة وأن المرأة تريد أن تكون آخر من يدخل قلب الرجل لذلك يكثر الغيرة بين المحبين، وكلما ذكرت السيرة النبوية أي خلافات بين المصطفى ﷺ وأزواجه لحسن تعامله ورجوليته وعدله وحبه وتقديره لمن فلم يؤذِ ﷺ أحداً من زوجاته أو يضرها، وفي ذلك تقول السيدة عائشة -رضي الله عنها-: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِماً، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُتَّهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» (رواه مسلم).

وأوصى ﷺ بالمرأة عند مخالفة أمر زوجها فجعل لتأديبها حدوداً وضوابطاً وشروطاً لتأديبها، قال ﷺ: «... فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوْطِئَنَّ فَرْشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ. (رواه مسلم) (أي: غير شديد بحيث لا يكسر عظمها ولا يسيل دما وحتى لا يترك أثرا).

عن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا حَقُّ زَوْجَةٍ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، أَوْ اكْتَسَبَتْ،



وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ» (رواه أبو داود) وقال: (ولا تُقَبِّحْ): أَنْ تَقُولَ: (قَبِّحَكَ اللَّهُ) بل وأوصى المصطفى ﷺ بالزوجات خيراً في قوله ﷺ: (اسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضَلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسَرْتُهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ...) (رواه البخاري).

وكان المصطفى ﷺ يواسي زوجاته ويبرر ويشرح ويتعاطف معهن فقد ورد أن السيدة صفية كانت مع رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَهَا، فَابْطَأَتْ فِي الْمَسِيرِ، فَاسْتَقْبَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي وَتَقُولُ: «حَمَلْتَنِي عَلَى بَعِيرٍ بَطِيٍّ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ بِيَدَيْهِ عَيْنَيْهَا وَيُسَكِّتُهَا» (رواه النسائي).

كما اهتم المصطفى ﷺ باهتمامات زوجاته فمثلاً اমনا عائشة تحب الجري والسباق وأنه ﷺ اصطحب زوجته عائشة -رضي الله عنها- في أحد أسفاره وكانت ما تزال صغيرة: فَقَالَ لِلنَّاسِ: «تَقَدَّمُوا» فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ لِي: «تَعَالِي حَتَّى أُسَاقِبَكَ» فَسَاقَبْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدَنْتُ وَنَسِيتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «تَقَدَّمُوا» فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالِي حَتَّى أُسَاقِبَكَ» فَسَاقَبْتُهُ، فَسَبَقَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ: «هَذِهِ بِتِلْكَ» (رواه أحمد).

الفصل الرابع : حب المصطفى ﷺ لأُمته







المقدمة

آلاف السنين تخلق الأمة وساعة قد تغطيها بالغبار (بيرون)، أما مع المصطفى ﷺ فقد صنع بعون الله تعالى أعظم أمة هزمت أكبر امبراطوريتين بالعالم خلال خمسة عشر سنة وأعظم دولة في ثلاث سنوات وأعظم دستور وبنية تحتية في سنة واحدة لأنه أحبها وأحب المولى جلي علاه.

أما ذلك الحرص والحب الشديد لأمته كما أثر عن نبينا صلوات الله وسلامه عليه، وصدق الله تعالى حين قال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. قال ابن كثير في تفسيره: «وقوله: {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} أي: يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها، {حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ} أي: على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم». وقال السعدي في تفسيره: «أي شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم، ولهذا كان حقه مقدماً على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإتيان به وتعظيمه وتعزيه وتوقيره».

والناظر في السيرة النبوية المشرفة يجد صوراً وأمثلة كثيرة تدل على مدى حب النبي ﷺ لأمته، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لَمَّا رَأَيْتُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَيْبَ نَفْسٍ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ لِي، فَقَالَ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَائِشَةَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهَا وَمَا تَأَخَّرَ، مَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ...، فَقَالَتْ: وَمَا لِي لَا يَسْرُنِي دُعَاؤُكَ، فَقَالَ ﷺ: (وَاللَّهِ إِنَّهَا لَدُعَائِي لِأُمَّتِي فِي كُلِّ صَلَاةٍ) (رواه ابن حبان والحاكم).

أما دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليها فكثير، ففي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ: تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: رَبِّ



إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي (الآية)، وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي وَبِكِي، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جَبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلِّمْهُ مَا يُبْكِيكَ؟، فَاتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللَّهُ: يَا جَبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ إِنَّا سَنَرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ (رواه مسلم).

ولا شك أن كثرة دعائه لأُمته إحدى معالم حرصه ورأفته ورحمته بأُمته التي وصفه بها القرآن: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} (التوبة: ٢٨). ولعل دعاءه لأُمته من الكثرة ما يمكن أن تكون بعد كثرة استغفاره. ولقد خبأ أعظم دعواته، وهي الدعوة المستجابة لكل نبي لأُمته، للشفاعة العظمى لأُمته يوم القيامة كما جاء بذلك الحديث الصحيح. وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَنْ قَالَ كُلَّ يَوْمٍ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْحَقِّ بِهِ مِنْ كُلِّ مُؤْمِنٍ حَسَنَةً) (رواه الطبراني).

أولاً: فضل أمة المصطفى

عن عبادة بن الصامت قال: فقد النبي ﷺ ليلة أصحابه، وكانوا إذا نزلوا أنزلوه أوسطهم ففزعوا، وظنوا أن الله - تبارك وتعالى - اختار له أصحابا غيرهم، فإذا هم بخيال النبي ﷺ فكبروا حين رأوه قالوا: يا رسول الله أشفقنا أن يكون الله - تبارك وتعالى - اختار لك أصحابا غيرنا، فقال رسول الله ﷺ: (لا، بل أنتم أصحابي في الدنيا والآخرة إن الله تعالى أيقظني فقال: يا محمد إني لم أبعث نبيا ولا رسولا إلا وقد سألتني مسألة أعطيته إياه فاسأل يا محمد تعط. فقلت: مسألتي شفاعة لأُمتي يوم القيامة) فقال أبو بكر: يا رسول الله ﷺ وما الشفاعة؟ قال: (أقول: يا رب



شفاعتي التي اختبأت عندك فيقول الرب تبارك وتعالى: نعم فيخرج ربي - تبارك وتعالى - بقية أمتي من النار فينبذهم في الجنة)، ولمكانة أمة الاسلام عند المصطفى ﷺ منزلة كبيرة وعظيمة نوضحها بالتالي:-

١- هي خير الأمم وأفضل الأمم، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ {آل عمران: ١١٠}، وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: (نكمل يوم القيامة سبعين أمة نحن آخرها وخيرها) (رواه الترمذي)، فبين الله لهذه الأمة مكانتها ومنزلتها وخصوصيتها، لأنها خير أمة أخرجت للناس، فالأمة المحمدية خير الناس للناس، لها القيادة والسيادة ولها المكانة الرفيعة.

٢- أمة مرحومة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن هذه الأمة مرحومة، عذابها بأيديها فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين فيقال هذا فداؤك من النار) (رواه ابن ماجه) وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: (أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل) (رواه أبو داود وصححه الحاكم).

٣- أمة لا تجتمع على ضلالة، لما في الحديث: (إن الله قد أجاز أمتي أن تجتمع على ضلالة) (رواه ابن أبي عاصم وحسنه الألباني)، أمة أساس دينها هو التوحيد الذي دعت إليه جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، أمة لا يزال الخير فيها مستمراً كلما ضعف، هيأ الله لها من أبنائها من ينهض بها ومن يعيدها إلى الطريق المستقيم وقال المصطفى ﷺ: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل



مائة سنة من يجدد لها دينها) (رواه أبو داود).

٤ - أمته خاتم الأمم وأولها حساباً يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا...، فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فاليهود غداً والنصارى بعد غداً) (متفق عليه).

٥ - أمته ثلثا أهل الجنة، فعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في قبة حمراء نحواً من أربعين، فقال: (أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة، قلنا: نعم، قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة، قلنا: نعم، قال: فوالذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة وما أنتم من أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد ثور أسود أو السوداء في جلد ثور أحمر) وقال ﷺ: أهل الجنة عشرون ومائة صف، هذه الأمة منها ثمانون صفاً. (رواه أحمد وابن حبان والحاكم).

٦ - إن الله يضاعف لأمته الأجر، فعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (إنما مثلكم واليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود على قيراط قيراط ثم عملت النصارى على قيراط قيراط ثم أنتم الذين تعملون من صلاة العصر إلى مغارب الشمس على قيراطين قيراطين فغضبت اليهود والنصارى، وقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاء، قال: هل ظلمتكم من حقكم شيئاً، قالوا: لا، فقال: فذلك فضلي أوتيته من أشياء) (رواه البخاري).

٧ - أمة تشهد على باقي الأمم، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يحيى نوح وأمه فيقول الله تعالى هل بلغت فيقول: نعم أي



رب، فيقول: لأمته هل بلغكم، فيقولون: لا ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك، فيقول: محمد ﷺ وأمته فنشهد أنه قد بلغ وهو قوله جل ذكره: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (والوسط العدل) (رواه البخاري).

وغير ذلك من الفضائل التي ذكرها العلماء ووردت في الأحاديث الصحيحة.

ثانياً: شفقتة على أمته

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنِّي أَخْلَلْتُ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: (اللَّهُمَّ، أُمَّتِي أُمَّتِي) وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا جَبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلِّهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللَّهُ: يَا جَبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ» (رواه مسلم).

قال النووي: «هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد، منها: بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته واعتناؤه بمصالحهم، واهتمامه بأمرهم». وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا فَبَجَلْ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا فَأَنَا آخِذٌ بِحُجْرَتِكُمْ عَنِ النَّارِ وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا) (رواه البخاري) فلا خوف على أمة عندها العلم والرجال (الرياحي) هذا ما حرص عليه المصطفى ﷺ في تنميته بأمته.



عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان إذا ضحى اشترى كبشين سمينين أقرنين أملحين، فإذا صلى وخطب الناس أتى بأحدهما وهو قائم في مصلاه، فذبحه بنفسه بالمدينة، ثم يقول: (اللَّهُمَّ هَذَا عَنْ أُمَّتِي جَمِيعًا، مِمَّنْ شَهِدَ لَكَ بِالتَّوْحِيدِ، وَشَهِدَ لِي بِالبَّلَاجِ) (مسند أحمد) والثابت عن النبي ﷺ أنه كان يضحى عن أمته ممن شهد له بالتوحيد وشهد له بالبلاغ، وعن نفسه، وأهل بيته، وهذا بسبب حرصه على أمته والأجر لهم ﷺ.

ومن صور وشواهد حب النبي ﷺ لأُمته أنه كان حريصاً على ألا يشقَّ على أمته، وربما ترك بعض الفضائل التي يجبها خشية أن تُفرض فيشق ذلك عليها، وذلك مثل قوله ﷺ: (وَلَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوْ دِدْتُ أَنِّي أَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أَقْتُلُ ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أَقْتُلُ) (رواه البخاري). وقوله: (لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُصَلُّوْهَا هَكَذَا) (رواه البخاري). وقوله: (لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ، وَلَأَخَّرْتُ صَلَاةَ الْعِشَاءِ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ) (رواه الترمذي). وقوله ﷺ عندما قال له جبريل عليه السلام: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ)، فَقَالَ: (أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ). ثُمَّ آتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ)، فَقَالَ: (أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ). ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ)، فَقَالَ: (أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ). ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ فَقَالَ: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَأْتُمْ عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابْتُمْ) (رواه مسلم).

جرى حال المحبِّ أن يحدوه الشوق لرؤية من يعرفه ويحبه وطال فراقه، أما أن يحدوه الحب إلى رؤية من لم يره من قبل، فهذا حب اقتصر على المصطفى



ﷺ مع أتباعه من أمته، الذين أتوا بعده، ولم يرهم، فهو ﷺ يود أن يلقانا، وقد قال عنا: إنا إخوانه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي). قَالَ: فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَوَلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانُكَ؟ قَالَ: (أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْني) (مسند أحمد). مما لا شك فيه أن حب النبي ﷺ لأُمته عظيم، وقولته المشهورة ﷺ يوم القيامة: (أُمِّي أُمِّي) (رواه البخاري). وقد قال الله عن حاله مع أمته: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨). وإذا كان هذا حبه صلوات الله وسلامه عليه لنا كأفراد وأمة فحريُّ بنا أن نحبه من أعماق قلوبنا، وأن يكون حُبنا له حُبًّا صادقًا بالقلب واللسان والأعضاء، وذلك بتوقيره وطاعته والافتداء به والصلاة والسلام عليه وعلى آله وأحبابه ما أمكن.

وكان ﷺ يبكي لما يصيب أمته وأصحابه من المرض والبلاء شفقة عليهم، ففي البخاري: أن سعد بن عبادَةَ اشتكى فدخل عليه النبي ﷺ فوجده في غاشية أهله، فقال قد قُضِيَ؟ قالوا: لا، يا رسول الله، فبكى النبي ﷺ فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا.. وبكى صلوات الله عليه عند مقتل حمزة، وعند مقتل جعفر، وعند وفاة ابنه إبراهيم، وعند وفاة ابن لإحدى بناته، وبكى عندما زار قبر أمه وأبكى من حوله، وبكى عندما وقف على شفير القبر في جنازة أحد أصحابه، وبكى لما نزل قول الله تعالى ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال: ٦٨)، وكان إذا صلى سمع من صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء، وكان أصحابه الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم يبكون لبكائه صلوات الله وسلامه



عليه، وكل ما ذكرناه ثابت بالأحاديث الصحيحة والحسنة في الصحيحين والسنن وغيرها من كتب السيرة النبوية.

ثالثاً : خوف المصطفى على أمته

السيرة النبوية مليئة بالمواقف التي تبين مدى خوف المصطفى ﷺ على أمته ونذكر منها مواقف مختارة:

١ - الشفاعة :

جاء في حديث الشفاعة العظمى عن أنس رضي الله عنه وفي الحديث قول النبي ﷺ (فيأتوني، فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، فيقول : ارفع محمد، وقل يسمع، واشفع تشفع، وسل تعط، قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، فيحد لي حداً، فأخرجهم الجنة - قال قتادة : وسمعت أيضاً يقول : فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة - ثم أعود فأستأذن ... فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة - حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن) . أي وجب عليه الخلود. قال : ثم تلا هذه الآية : (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) . قال : وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ (رواه البخاري).

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قول النبي ﷺ (فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي عز وجل، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول : أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال : والذي نفسي بيده، إن ما



بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير، أو : كما بين مكة وبصري) (رواه البخاري).

٢- خوفه على أمته بين الأمم:

كما ذكرنا سابقاً عندما قرأ ﷺ يوماً قول الله في إبراهيم: ﴿ رَبِّ إِنِّي نَجَّيْتُكَ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ يَبْعُنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣٦) (إبراهيم: ٣٦) وقرأ قول الله في عيسى: ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (المائدة: ١١٨). فبكى ﷺ فأنزل الله إليه جبريل عليه السلام وقال: باجبريل سل محمد ما الذي يبكيك؟ - وهو أعلم-، فنزل جبريل وقال: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال أمتي.. أمتي يا جبريل، فصعد جبريل إلى الملك الجليل. وقال: يبكي على أمته والله أعلم، فقال لجبريل: انزل إلى محمد وقل له إنا سنرضيك في أمتك (رواه مسلم). وقول النبي ﷺ (لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعاً لأمتي في الآخرة) رواه البخاري.

٣- خوفه على أمته من المعاصي :

أن رجلاً أصاب من امرأة قبله، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله عز وجل: {أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات} فقال الرجل : يا رسول الله، ألي هذا؟ قال : لجميع أمتي كلهم (رواه البخاري).

٤- التخفيف بالعبادات:

قول النبي ﷺ (لولا أن أشق على أمتي، أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة) (رواه البخاري). وجاء في حديث الإسراء والمعراج ان قال النبي



ﷺ: ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام. قال ابن حزم وأنس بن مالك : قال النبي ﷺ: ففرض الله على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك، حتى مررت على موسى، فقال : ما فرض الله لك على أمتك ؟ قلت : فرض خمسين صلاة، قال : فارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعني فوضع شطرها، فراجعته، فقال : هي خمس، وهي خمسون، لا يبدل القول لدي، فرجعت إلى موسى، فقال : راجع ربك، فقلت : استحيت من ربي، ثم انطلق بي، حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغشيتها ألوان لا أدري ما هي، ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها حبايل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك . (رواه البخاري).

وقال النبي ﷺ (ما تعدون الشهيد فيكم؟ قالوا : يا رسول الله! من قتل في سبيل الله فهو شهيد. قال: إن شهداء أمتي إذا لقليل، قالوا: فمن هم؟ يا رسول الله! قال: من قتل في سبيل الله فهو شهيد. ومن مات في سبيل الله فهو شهيد. ومن مات في الطاعون فهو شهيد. ومن مات في البطن فهو شهيد. قال ابن مقسم: أشهد على أبيك، في هذا الحديث؛ أنه قال: والغريق شهيد. وفي رواية: قال عبيد الله بن مقسم: أشهد على أخيك أنه زاد في هذا الحديث: ومن غرق فهو شهيد. وفي رواية: زاد فيه: والغرق شهيد) (رواه مسلم).

وعن عبدالله بن عمر؛ قال: (مكثنا ذات ليلة ننتظر رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الآخرة . فخرج إلينا حين ذهب ثلث الليل أو بعده. فلا ندري شيء شغله في أهله أو غير ذلك . فقال حين خرج إنكم لتنتظرون صلاة ما ينتظرها أهل دين غيركم. ولولا أن يثقل على أمتي لصليت بهم هذه الساعة ثم أمر المؤذن فأقام الصلاة وصلى) (رواه مسلم).



٥ - خوفه على أمته من الظواهر الكونية:

كان رسول الله ﷺ إذا كان يوم الريح والغيم، عرف ذلك في وجهه، وأقبل وأدبر. فإذا مطرت، سر به، وذهب عنه ذلك. قالت عائشة: فسألته. فقال: «إني خشيت أن يكون عذابا سلطا على أمتي» ويقول، إذا رأى المطر رحمه (رواه مسلم).

٦ - دعاؤه المتواصل لأُمته:

أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية، حتى إذا مر بمسجد بني معاوية، دخل فرقع فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا ربه طويلا، ثم انصرف إلينا. فقال ﷺ (سألت ربي ثلاثا، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها. وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها) وفي رواية: أنه أقبل مع رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه. فمر بمسجد بني معاوية. (رواه مسلم).

وتكتب الأمم العظيمة تاريخ حياتها في ثلاث كتب: الأعمال والكلمات والفن هذا في نظر (راسين) ولكون المصطفى ﷺ وحبه لأُمته نزيدها كتاب رابع وهو حب الله عز وجل ورسوله ﷺ.



الفصل الخامس: حب الرسول لأصحابه







المقدمة

الصاحب صاحب لأنه يتأثر بصاحبه، فقد حثنا النبي صلى الله عليه وآله واصحابه وسلم على حسن اختيار الصديق، وألا تكون تلك الصداقة قائمة على مصلحة أو منفعة مرجوة، وإنما هو حب وأخوة في الله، يقول صلى الله عليه وآله وسلم: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) (صحيح ابن داود والترمذي).

والرسول صلى الله عليه وآله وسلم شبه المؤمن بالمرآة، معناه يدل أخاه لإزالة ما فيه من الأمر القبيح، يقول له: اترك هذا الفعل القبيح، لا يتركه على ما هو عليه بل يبين له الجليس الصالح كحامل المسك إن لم تصب من عطره أصابك طيب ريحه، وكما قال المثل العربي كلما ارتفع الشريف تواضع ولكما ارتفع الوضيع تكبر.

ومن الصفات التي يجب توافرها في الصاحب أن يكون تقياً صالحاً، وهذا هو المعيار الذي سنه المصطفى ﷺ، معيار الدين والتقوى والصلاح في اختيار الصاحب فإن الله سبحانه وتعالى يقول: (الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) (الزخرف: ٤٧٦)، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أرشد إلى ذلك بقوله: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي» (صحيح أبو داود)، وكذلك يجب أن يأخذ الصديق بيدك إلى الله، فلا تصاحب من لا ينهض بك إلى الله حاله، يقول تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف: ٢٨).

لم يعرف التاريخ صحبة طيبة كالتى وفرها الله عز وجل لرسوله ﷺ فقد من الله عليه بالصحبة المباركة الطيبة من المهاجرين والأنصار، بدأ الأمر بما لا يتجاوز





٨٠ شخص وانتهى الى عشرات الألوف قبل وفاته فقد حج مع المصطفى ﷺ في حجة الوداع مائة وعشر ألف حاج أحبوه وأحسنوا اسلامهم فحقاً هذه خير الأمم وخير الأجيال في التاريخ وهذا لم يتحقق لأي رسول أو أي شخص آخر من قبل ولا من بعد.

ومن فضل الله عز وجل عليه ﷺ أن أعطاه ما لم يعطي غيره من الأنبياء السابقين من حب الأصحاب وكثرتهم، وكل هذه المزايا خليفة له ﷺ لأن يتم لأصحابه أداة أوفى الوفاء، وأن يجعله محباً لمن حوله جديراً منهم بأحسن حب وولاء. اوصلهم حبه الى ان يكونوا كالقنفاذ تتلقى السهام من كل جانب وان لا يمس المصطفى قيد نملة. فلم يعرف في تاريخ العظماء إنسان ظفر بنخبة من الصداقات على اختلاف الأعراق والبيئات والأجناس كالتي ظفر بها المصطفى ﷺ، ولم يعرف عن إنسان أنه أحيط من قلوب الضعفاء والأقوياء بما يشبه الحب الذي أحيط به هذا القلب الكبير صاحب الخلق العظيم لأنه صاحب الاحسان الأكبر، فلا إحسان يغطي جميع الخطايا (جونسون)، واغنى الناس اكثرهم احساناً (ابن المقفع).

أولاً: تعامل المصطفى مع اصحابه:

ان عظمة تعامل الرسول ﷺ التي تجذب إليها الأصحاب النابغين من كل معدن وكل طراز، وهي التي يقابل في حبها رجال بينهم من التفاوت مثل ما بين أبي بكر وسلمان، وبين علي وعثمان، وبين خالد وبلال، وبين زيد وأبي ذر: كلهم عظيم وكلهم رضي الله عنهم مع ذلك مخالف في وصف العظمة لسواه فالجبال تتحول الى ذهب عندما يعملون الأخوين معاً (مثل صيني)، وحب أصحاب الرسول ليس له حدود فهذا بلال وقد أدرك الموت فأحاط به أهله يصيحون «واكرباه» وهو يجيبهم: (غداً لقاء الأعبة محمداً وصحبه).



لقد كان المصطفى ﷺ صاحب الفضل على أصفياه جميعاً بما هداهم إليه من الإيمان بعد الضلال، ومع هذا كان يذكر فضلهم ويشيد بذكرهم كما قال عن أبي بكر: «ما أحد أعظم عندي يداً من أبي بكر؛ واساني بنفسه وماله وأنكحني ابنته»، وكما قال عن أبي بكر وعمر: «أبو بكر وعمر مني بمنزلة السمع والبصر» (رواه الترمذي والحاكم)، وكما قال عن علي: «علي أخي في الدنيا والآخرة» (المستدرك للحاكم)، وكما قال عن بعض أصحابه: «إن الله تعالى أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم: علي منهم، وأبو ذر، والمقداد، وسلمان» (حسن غريب)، وكما قال عن الأنصار جميعاً وهو في مرض الموت: «أوصيكم بالأنصار فانهم كرشتي وعييتي وقد قصوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم» (رواه البخاري)، فجارك من جاورت قلبه (نعيمه)، وغير ذلك كثير عن الصحابة كافة وعن بعضهم مذكورين بأسمائهم.

كان المصطفى ﷺ يحدثهم ويعلمهم أينما كانوا، ويتفقدهم فيحسن الحسن، ويقبح القبيح، فإذا اجتمع معهم كانوا عنده ﷺ على درجات ومراتب، وكان هذا معلوماً لديهم رضي الله عنهم، ومن ذلك:

١ - كان يقدم السابقين منهم للإسلام، فقد ذكر أنه حدث خلاف بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم جميعاً فسبه خالد، فقال رسول الله: (لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد (ملء كف) أحدهم ولا نصيفه) (رواه البخاري ومسلم) وهذا عبد الرحمن بن عوف بعد موت المصطفى ﷺ بسنوات يوضع بين يديه الطعام الكثير فيتذكر حبيبه المصطفى ﷺ فيبكي ويتحسر أن حبيبه لم يأكل معه ذلك.

٢ - وكان يقدم المتدين الرحيم، الكريم منهم، وأفضل الناس عنده من ينصح الناس، ويواسيهم ويؤازرهم ويحبهم حب صارم (عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير).



٣- وأقرب الصحابة إليه أبو بكر وعمر منزلة. وعن علي رضي الله عنهم جميعاً قال: بينا أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ أقبل أبو بكر وعمر فقال: هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما خلا النبيين والمرسلين يا علي لا تخبرهما (رواه الترمذي)، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: إني لواقف في قوم فدعوا الله لعمر وقد وضع على سريره (الجنائزة) إذ رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبيه يقول: يرحمك الله، إني لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبك (يريد الرسول وأبا بكر) لأني كثيراً ما كنت اسمع رسول الله ﷺ يقول: كنت أنا وأبو بكر وعمر، وفعلت (أنا) وأبو بكر وعمر، وانطلقت (أنا) وأبو بكر وعمر، ودخلت (أنا) وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر، فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه. (متفق عليه).

٤- إذا خرج ﷺ إلى الأسواق سلم على كل من يلقاه على الكبار والصغار، ولم يكن يرفع صوته أبداً، فحقاً ما قاله جونسون: «من أراد معرفة قيمته احصى أصدقائه»، فالمصطفى صاحب الجميع وصديقهم ولم يعلم التاريخ لشخص هذا العدد من الصداقات وقربها وهذا العدد الكبير من الحب والتضحيات.

٥- لا ينصرف عمن يحذثه أو يقف معه حتى يكون هو المنصرف احتراماً وتقديراً للسائل وهذا يعزز الحب بينهم.

٦- إن كلمه أحد استمع إليه حتى ينتهي من كلامه، وهذا من كمال خلقه ﷺ، فلم يكن يقطع أحداً في كلام، فما أعظم هذا الخلق الراقي «ولا صداقة بلا ثقة» (بيكوراس).

٧- كان ﷺ يجالسهم ويسامرهم، ويبدأ أي مجلس باسم الله ويذكره ويحمده، ولم يعين له مجلساً خاصاً بين الصحابة لتهام خلقه ومحبة لأصحابه.

٨- إذا جاءه سائل، أو سأله سائل لا يرده أبداً، إن كان معه ما يعطيه، والا فإنه يرده



بميسور الكلام وألينه أطيبه كالدعاء (عيون الأثر في فنون المغازي)، ويقبل ﷺ من يعتذر منهم، ولم يرد لأحد عذراً.

٩- كان مجلسه ﷺ مجلس حلم، ليس فيه انفعالات وغضب، ومجلس حياء لا يذكر فيه الفحش، ولا أي كلام يخل بالحياء، ولا ترفع فيه الأصوات فيتداخل بعضه في بعض، ويصبر على الغريب الأعرابي الذي في أسلوبه فظاظة.

١٠- كان يوقر فيه الكبير، ويرحم فيه الصغير، وفي صحيح مسلم انه لما شرب رسول الله ﷺ فقال له عمر (وأبو بكر) عن شماله: يا رسول الله، أعط أبا بكر، فأعطاه أعرابياً عن يمينه، وقال الأيمن فالأيمن فكل شيء في حياة المصطفى له نظام وأدب وبروتوكول وحب.

وفي هذا الجزء وضحنا بعض الأمثلة عن شخصية الرسول كصحاب ولماذا أحبوه أصحابه، وحتى نكون دقيقين في التحليل ركزنا على بعض المواقف ومن أمثلتها العلاقة بين المصطفى ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله الله عنه « فالأخ قلعة » (مثل برتغالي).

ثانياً: الحب بين أبي بكر والمصطفى :

ما أعجب حب أبوبكر للحبيب صلى الله عليه وآله وسلم!! تلك المحبة التي ملأت قلبه لدرجة أنه أصبح يؤثر هذا الحب على نفسه وروحه وماله بل وأهله، فلتأمل معاً مشاهد عجيبة من هذا الحب، والتي من أروعها أن سيدنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه حين مرض النبي ﷺ ورقد منطرح الفراش، مستلقياً بدين منهك، ذهب إليه أبوبكر رضي الله عنه يزوره، فلما رآه منطرحاً في فراشه حزن عليه حزناً شديداً، حتى إنه عندما رجع إلى بيته وقع مريضاً حزناً على رسول الله ﷺ. ولما



شفى النبي ﷺ من مرضه وعلم بمرض الصديق ذهب لزيارته والاطمئنان عليه، وعندما دخل النبي على أبي بكر ورآه تهلل وجه الصديق، وانبسطت أساريره فرحاً بشفاء النبي ﷺ فقام واقفاً وقد شفى لرؤيته، وأنشد الصديق رضي الله عنه شعراً معبراً عن هذا الحب الصادق وما أجملها من كلمات فقال:

مرض الحبيب فعدته.. فمرضت من أسفى عليه

شفى الحبيب فزارني.. فشفيت من نظري إليه

«الصدقة: الوجه الآخر غير البراق للحب ولكن وجه لا يصدأ» (ميلتون)، وما أبلغها من كلمات بسيطة في حروفها، عميقة في معانيها، تنسج ببساطة قصة حب رائعة طاهرة بين أبوبكر الصديق وصاحبه رسول الله محمدًا ﷺ، فلا يجد المصطفى إلا أن يرد على صاحبه قائلاً: (لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً...) (رواه مسلم).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَقَلَّ يَوْمٌ كَانَ يَأْتِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا يَأْتِي فِيهِ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفِي النَّهَارِ، فَلَمَّا أُذِنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ لَمْ يَرُعْنَا إِلَّا وَقَدْ أَنَا ظُهُرًا، فَحِينَ خُبِّرَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ قَالَ: مَا جَاءَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لِأَمْرٍ حَدَثَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: أَخْرِجْ مِنْ عِنْدِكَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ، يَعْنِي عَائِشَةَ وَأَسْمَاءَ، قَالَ: أَشَعَرْتَ أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، قَالَ: الصُّحْبَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الصُّحْبَةُ. قَالَتْ عَائِشَةُ: (فَرَأَيْتَ أَبَا بَكْرٍ يَبْكِي، وَمَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ أَحَدًا يَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ) (رواه البخاري) وهذا البكاء بكاء فرح فما أسعدني فأحد أصدقائي سعيد (ميلتون).



ثالثاً: أجمل صحبة وأصدق أخوة

يحكي لنا سيدنا أبوبكر موقفاً آخر كان في الهجرة الشريفة، فيقول: مررنا براح وقد عطش رسول الله ﷺ قال: فجلبت له كثبة من لبن فأتيته بها، فشرب حتى رضيت (رواه مسلم). وفي الهجرة مظاهر أخرى لحب الصديق للنبي فيها قال الإمام الحسن البصري: «انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلاً، فدخل أبوبكر قبل النبي، فلمس الغار وأخذ يفتشه لينظر أفيه سبع أو حية ليقبي رسول الله ﷺ بنفسه، فلما دخل الصديق رضي الله عنه الغار بدأ يقطع من ثوبه ويسد الثقوب، قال: خوفاً من شيء يؤذي رسول الله (محاضرات في سيرة الخلفاء الراشدين - د. أبو اليسر كهوس).

وفي يوم فتح مكة أسلم أبو قحافة والد سيدنا أبي بكر، وكان إسلامه متأخراً جداً وكان قد أعمى، فأخذه أبوبكر وذهب به إلى النبي ﷺ ليعلن إسلامه ويبيع النبي، فقال له النبي بقلب رحيم: يا أبا بكر هلا تركت الشيخ في بيته، فذهبنا نحن إليه؟ فقال أبوبكر: لأنت أحق أن يؤتى إليك يا رسول الله (صححه ابن حبان). وعندما أبو قحافة، بكى أبوبكر الصديق فسأله: هذا يوم فرحة، فأبوك أسلم ونجا من النار فما الذي يبكيك؟ فقال أبوبكر: لأنني كنت أحب أن الذي بايع النبي الآن ليس أبي ولكن أبوطالب، لأن ذلك كان سيسعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكثر.

وعن أسمى مشاعر الحب بين الصحابين يروي البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ. فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ إِنْ يَكُنْ اللَّهُ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ؟ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْعَبْدَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا. فَقَالَ النَّبِيُّ: يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكُ، إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ



فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَتَّقِينَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ.

وبرغم حب الصديق الجارف والعظيم للمصطفى ﷺ، إلا أن إيمانه الشديد بالله عز وجل جعله حين مات حبيب محمد - رسول الله - واهتز الصحابة كلهم حتى كادت عقولهم تذهب وإيمانهم يهتز، وقف أبو بكر برغم ألمه وحزنه الشديدين كالأسد بينهم متمالك المشاعر ورابط الجأش، قائلاً لهم: «أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت».

ثم وقف يتلو الآية ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ (آل عمران: ١٤٤) صلى الله على سيدنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، ورضي الله عن أبي بكر الصديق وأرضاه، وصدق الامام علي حين قال: «ليكون الصديق صديقاً حتى يحفظ اخاه في ثلاث: في نكته وغيبته ووفاته».

رابعاً: دماثة أخلاقه

من سعة النفس أن ينهض الرجل بعظائم الأمور بل بأعظمها أهمية وهو تبليغ وإقامة الدين، وإصلاح الأمم وتحويل مجرى التاريخ ثم يطيب نفساً للفكاهة ويطيب عطفاً على المتفككين ويشركهم فيما يشغلهم من طرائف الفراغ، فللجد صرامة تستغرق بعض النفوس فلا تتسع لهذا الجانب اللطيف من جوانب الحياة، ولكن النفس العظيمة لا تستغرق هذا الاستغراق وإن نهضت بالعظيم من الأعمال (عبقريّة محمد، العقاد).

ومن المواقف الطريفة في حياة الصحابة رضي الله عنهم انه سافر أبو بكر رضي الله عنه إلى بصري تاجراً ومعه نعيان وسويط بن حرملة عامله على زاده. فجاءه



نعيماً وطلب إليه طعاماً فأباه عليه حتى يأتي أبو بكر، فأقسم نعيماً ليغيظنه. وذهب إلى قوم فقال لهم: «تشترون مني عبداً لي؟» قالوا: «نعم!» قال: «إنه عبد له كلام، وهو قائل لكم: لست بعبده أنا رجل حر ... إلى أشباه ذلك. فإن كان إذا قال لكم هذا تركتموه فلا تشتروه ولا تفسدوا على عبدي ...» قالوا: «لا ... بل نشتره ولا ننظر إلى قوله.» فاشتروه منه بعشر قلائص، ثم أداهم إياه فوضعوا عمامته في عنقه ولم يحفلوا بقوله، وجعلوا كلما قال لهم: «أنا حر! ... إنه يتهزأ ولست أنا بعبده» سخروا منه وقالوا: بل عرفنا خبرك فدع عنك اللجاجة ... فلما جاء أبو بكر سأل عنه فقص عليه نعيان قصته، وذهبوا جميعاً ليلحقوا بالقوم فيفتدوه ويعيدوه. ثم قدموا على رسول الله ﷺ فضحك من فعلة نعيان، وجعل يذكرها حولاً كاملاً كلما رآه، فاستراحة محمد ﷺ إلى الفكاهة هي مقياس تلك الآفاق النفسية الواسعة التي شملت كل ناحية من نواحي العاطفة الإنسانية، وهي المقياس الذي يبدي من العظمة ما يديه الجد في أعظم الأعمال.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال له: يا ذا الأذنين (أي مازحه) (رواه الترمذي)، (وكل إنسان صحيح له أذنان). كان رجل من أهل البادية يدعى (زاهر) وكان ﷺ يحبه، فأتاه رسول الله ﷺ، وكان زاهر دميماً، فقيراً يبيع متاعه في سوق المدينة، فاحتضنه رسول الله ﷺ من خلفه، وهو لا يبصره، فقال: ارسلني، من هذا؟!، فالتفت، فعرف النبي فجعل يلصق ظهره بصدر الرسول ﷺ حين عرفه رضي الله عنه وجعل الرسول يقول: من يشتري العبد؟! فقال: يا رسول الله - إذا والله - تجدني كاسداً، فقال النبي ﷺ: لكن عند الله لست بكاسد (رواه البيهقي).

عن انس بن مالك رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ ليخالطنا، حتى انه كان ليقول لأخي صغير: يا أبا عمير، ما فعل النغير؟ (رواه البخاري ومسلم).



والنغير: طير صغير شبه العصور الدوري (أحمر المنقار)، قال له ذلك حين رآه حزينا ذات مرة، فقال: ما شأنه؟! قالوا: مات نغره (طيره)، فقال ما فعل النغير؟!!

خامساً: مراعاة النفوس

كان ﷺ لا ينسى معروفاً قط قدمه له أحد من لأصحابه، وكان يقدم الذين آمنوا به في مقدم دعوته، وخاصة الذين عانوا معه متاعب الدعوة، وضحووا من أجلها كل المتاع، فقال: لا تسبوا أصحابي (الأوائل من المهاجرين والأنصار) واستوصوا بالأنصار خيراً، فأقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم (السلسلة الصحيحة)، «الاخلاق قوة ونفوذ تكسب الأصدقاء، وتوجد رأس المال، وتجلب الحماية والتأييد، وتفتح طريقاً سهلاً للثروة والشرف والسعادة» (هيوز).

وفي موقف يبين تعامل بعض أهل البادية وغلظتهم مع المصطفى ﷺ جذب أعرابي رداء رسول الله ﷺ (وكان رداؤه خشناً) فاحمرت رقبته. فقال الأعرابي: يا محمد احمل لي على بعيري هذين، فإنك لا تحمل من مالك، ولا من مال أبيك!

فقال رسول الله ﷺ: لا، وأستغفر الله، لا أحملك حتى تقيدني مما جذبت برقبتي. (أي حتى أعاقبك مقابل ما فعلت في رقبتي)، فقال الأعرابي: لا والله لا أقيدك.

فقال رسول الله ﷺ ذلك ثلاث مرات، وكل ذلك يقول الأعرابي: لا والله لا أقيدك.

فلما سمع الصحابة قول الأعرابي جاؤوا الى المكان وأحاطوا به.

فقال الرسول: عزمت على من سمع كلامي، ألا يبرح مقامه، حتى أذن له.

فقال رسول الله ﷺ لرجل من القوم: يا فلان أحمل له على بعير شعيراً، وعلى بعير تمرأ، وأعطاهما للأعرابي فطابت نفسه، فقال لهم الرسول بعد ذلك انصرفوا.



وضحك الرسول ﷺ حين قال له الأعرابي: إنك لن تقيدني، لأنك لن تكافئ بالسيئة السيئة (رواه النسائي).

وأن تأخير الرد على الاعرابي كان في سبيل إرضاء خاطر أصحابه ذوي الفضل حتى لا يكون في نفوسهم شيء ولو القليل لمحبة الكبير لهم فهو جابر الخواطر ﷺ، فحتى الأعراب يعرفون حلمه، وأنه يستحيل أن يكافئ السيئة بالسيئة، بل إن الحلم والعفو طبيعة مشهورة فيه ﷺ «فالأخلاق أساس اصلاح المجتمع وإقامة الحكم الصالح وليس القوة او القانون» (كونفوشيوس الصين).

سادساً: الشوق الدائم لمجلسه

وكان لا يغني ﷺ من لازموه أن يلزموه في الحياة حتى يثقوا من ملازمتهم إياه بعد الممات فضعف مولاه ثوبان ونحل جسمه وألح عليه الحزن في ليله ونهاره، فلما سأله السيد العطوف ﷺ يستفسره علة حزنه ونحوه قال في طهارة الأبرار: (إني إذا لم أرك اشتقتك واستوحشت وحشة عظيمة، فذكرت الآخرة حيث لا أراك هناك لأنني إن دخلت الجنة فأنت تكون في درجات النبيين فلا أراك) ورد الله عز وجل من فوق سابع سماء عليه، ورويت هذه القصة في أسباب نزول الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩) وما أجملها من كلمات أسعدت أصحاب المصطفى ﷺ ليكونوا معه دنيا وآخرة وان شاء الله نحن مشمولون بهذه الآية آمين .

تلك هي العظمة التي اتسعت آفاقها وتعددت شخصياتها وجوانبها حتى أصبحت فيها ناحية مقابلة كل صاحب، وأصبحت تجمع إليها البأس والحلم، والحيلة والصرامة، وحلم السن وحماس الشباب، تلك هي ما استحقها سيد



الخلق ﷺ إلا بنفس غنيت بالحب وخلصت له حتى أعطت كل محب لها كفاء ما يعطيها؛ مودة بمودة وصفاء بصفاء، وعليها المزيد كما عودنا المصطفى ﷺ لأنه حقاً على خلق عظيم.

وعندما غدر قبيلة هذيل بالرسول الستة الذين ذهبوا إليهم ليعلموا من شاء أن يتعلم أحكام الدين وهو آمن في داره، لا إكراه له ولا بغي عليه. فقتلوا جميعاً وجيء بأحدهم زيد بن الدينة أسيراً لبيع فاشتراه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه، ونصب للقتل فسأله أبو سفيان مستهزئاً: «أنشدك الله يا زيد. أتحب أن محمداً الآن عندنا في مكانك تضرب عنقه وأنت في أهلِكَ؟» فأجابه زيد: «والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي» فصاح أبو سفيان دهشاً: ما رأيت من الناس أحداً يحبه أصحابه ما يحب أصحاب محمد محمداً «فلا يبلغ المجد من لا يركب الخطر ولا ينال العلا من قدم الحذر» (صفي الدين الحلي). من فعله كهذه تعلم مدى ما استحقه المصطفى ﷺ من حب الأصحاب، فقد أحب أصدقائه وأحبوه لأنه طبع على الوفاء ومكارم الأخلاق لأصحابه.

كان ﷺ يدعو الآخرين كلما توفر له مال أو طعام، محققاً الحكمة اللاتينية: (ما انفقته على نفسي ضاع مني، وما قدمته للناس باقي أبدياً)، كما كان يستجيب للدعوات، فما دعاه أحد إلا قال: لبيك، وما رد دعوة أحد إلى وليمة. وكان يحض على الاجتماع على سفرة، والأكل جميعاً. فحين اشتكى أصحاب رسول الله ﷺ أنهم لا يشبعون فقالوا: يا رسول الله: انا نأكل ولا نشبع! قال: فلعلكم تفرقون؟ قالوا: نعم. قال: فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله عليه، يبارك لكم فيه. (رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد الحاكم).

ويختتم ابن الجوزي رحمه الله تعالى فيقول: «ومن اجتمعت فيه هذه الخصال كلها فإن صحبته لا ينتفع بها في الدنيا فقط بل ينتفع بها في الآخرة وعلى هذا يحمل كلام



بعض الصحابة والتابعين رحمهم الله تعالى: استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعاة يوم القيامة»

سابعاً: وفاءه وحبه للمهاجرين والأنصار:

لقد عرف المصطفى ﷺ منذ البداية بوفائه مع الجميع فلم ينسى معروف حتى اعداءه يذكرها ويدعوا لأصحابها فما بالك بأصحابه، ومن المفيد ان ننوه الى بعض المعلومات باختصار عن المهاجرين والأنصار قبل الخوض في هذا الجزء الغني حتى تكتمل الصورة، اولاً عدد المهاجرين في بداية الأمر ما دون المائة صحابي هاجروا مع المصطفى ﷺ الى المدينة، وكان يعيش في المدينة المنورة قبيلتي الأوس والخزرج والمسلمين ومجموعهم معاً عشرة آلاف تقريباً، وفي بعض الروايات لا يزيدون عن خمس عشر ألفاً جميعاً، وكان الوضع المالي للمهاجرين سيئاً، فكان الكثير منهم من اهل الصفة فقراء وسكنوا المسجد النبوي لما تركوه خلفهم في مكة المكرمة من منازل ومتاع وغيرها من أموال الغير منقولة تضحية للدعوة، اما اعمال الأنصار فكان أغلبهم بالزراعة.

اما الاخاء بين الأنصار والمهاجرين فقد تشابه المتآخين بالاهتمامات فالشاعر مع الشاعر والتاجر مع التاجر والعالم مع العالم، وكان هذا من فطنة المصطفى ﷺ سعياً لبناء التحالفات وتكامل التأخي، ولتقفز بالزمان ففي حجة الوداع، أي بعد تسع سنوات وصل عدد الحجاج مع الرسول ١١٠ ألف حاج كلهم أصحاب واحباب المصطفى ﷺ.

١ - وفاءه للمهاجرين وفضلهم

قال تعالى في كتابه العزيز حيث قسم مال الفيء في سورة الحشر: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٨: الحشر).



وصف الله سبحانه وتعالى المهاجرين وهم الذين هاجروا من مكة الى المدينة قبل فتح مكة أنهم فقراء مهاجرون وأخرجوا من ديارهم وأموالهم وأنهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ونصروا رسولهم وضحوا له التضحيات، فاستحقوا بهذه الأوصاف الفلاح والفوز برضوان الله لأنهم كانوا صادقين فهاجروا من أجل دينهم، وتركوا كل شيء فشهد الله لهم بالصدق، ويا لها من شهادة مستحقة وفاء لهم لأنهم فضلوا الرسول ﷺ على وطنهم وأهلهم فكانت الهجرة مفخرة لأنهم هاجروا إلى الله تعالى ورسوله ﷺ وجعل الله لهم المدينة دار هجرة.

وكما قال المصطفى ﷺ: «لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا»، فقد قدم ذكر المهاجرين على الأنصار فلهم الدرجة الأولى لأنهم تركوا بلادهم واموالهم طلباً للأجر ونصرة الله ورسوله ﷺ وصدقهم في ذلك، لذلك كانوا أفضل من الذين آمنوا بعدهم كالأنصار الذين بقوا في ديارهم مع اموالهم، ولم يكونوا يتضايقون من فضل المهاجرين عليهم، ويجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا. «المحبة القوية تستطيع ان تهدم الحقد والبغضاء» (حارب طه الراوي).

٢- حب الأنصار عند المصطفى

أما هؤلاء الذين أووا الرسول ﷺ والمسلمين في ديارهم، فيقول الله تعالى عنهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ (الحشر: ٩).

ويكفي ان نعرض موقف الرسول ﷺ مع الأنصار عندما فتحت مكة وعادت المياه الى مجاريها ورجع المصطفى الى دياره وأهله، فقد قال الرسول ﷺ للأنصار



بعد غزوة حنين يطمئنهم: أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى ديارهم بالشاه (الغنم) والبعير، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم.

فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شعباً (طريقاً في الجبل)، وسلكن الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم، وقالوا: رضينا بالله رباً وبرسوله قسماً (حظاً) (رواه البخاري ومسلم والترمذي).

وجاء في حديث آخر: (الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله) (رواه البخاري ومسلم)، ولولا الهجرة لكان الرسول ﷺ من الأنصار كما قال في لقائه مع الأنصار بعد غزوة حنين.

ثامناً: عطاؤه مع أصحابه:

يقول بعض علماء التفسير إن أرحم الخلق بالخلق بعد الله عز وجل هو رسول الله ﷺ مصداقاً لقول الله عز وجل ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨) (موسوعة النابلسي). فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما (وكان من أشهر الصحابة فقراً) قال: خرجت مع رسول الله ﷺ على غزوة ذات الرقاع على جمل لي ضعيف (قيل كان أعرج ولم يكن لجابر جمل غيره لشدة فقره)، فلما رجع رسول الله ﷺ (في طريقه إلى المدينة) جعلت أتخلف حتى أدركني الرسول ﷺ لأن المصطفى كان في المغازي أول المسافرين ركباً وعند رجوعه آخر الركب لحرصه وخوفه على أصحابه وما قد يلاقونه في ذهابهم وما قد يعتدي عليهم آخر الركب.



فقال: مالك يا جابر؟ قلت: أبطأ بي جملي! قال: أنخه، فأنخته.

ثم قال: أعطني هذه العصا من يدك، أو اقطع عصا من شجرة، فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه بها، ثم قال اركب، فركبت فصار يباري (يسابق) ناقة رسول الله ﷺ.

فقال أتبعيني جملك هذا يا جابر؟ قلت: بل أهبه لك. قال: لا، ولكن بعنيه، قلت فسمنيه (قدر ثمنه)

قال: أخذته بدرهم (وهو قريب من مئة فلس اليوم، وهو ثمن بخس جداً وغير معقول، وهذا على سبيل المازحة من رسول الله ﷺ لجابر).

قلت لا، إذا تغبني يا رسول الله (أي تظلمني بهذا السعر البخس، مقابل المزاح بالمزاح). قال: فبدرهمين؟

قلت: لا، فلم يزل يرفع حتى بلغ الأوقية (وهي من الذهب، وجمل جابر ضعيف أعرج ولا يساوي هذا المبلغ الكبير).

قلت: رضيت، فلما أصبحت في المدينة، انخت الجمل على باب رسول الله ﷺ، ثم جلست في المسجد، وخرج رسول الله ﷺ فرأى الجمل، فقال: ما هذا؟ قالوا هذا جمل جاء به جابر! قال: أين جابر فدُعيت له.

قال: يا بن أخي خذ براس جملك فهو لك، ودعا بلالاً فقال: اذهب بجابر فأعطه الأوقية من ذهب (ابن كثير، في السيرة النبوية)، فأرجع لجابر جملة، وأعطاه من الذهب هدية له، وهذا من حسن تلاففه في العطاء ﷺ، فأى خلق جميل هذا؟! (رواه البخاري)، فكما قال سيف الدولة: «منزلنا رحب لمن زاره نحن سواء فيه الطارق وكل ما فيه حلال له إلا الذي حرمه الخالق»، وكما قال حاتم الطائي: «اما والله ان المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والكرم».



ومن القصص الجميلة في عطاء ومؤازرة المصطفى ﷺ لأصحابه ما قام به مع سلمان الفارسي رضي الله عنه عندما طلب مالكة اليهودي منه ٤٠٠ أوقية ذهب وزراعة ٣٠٠ شتلة من النخل، وهذا من الاعجاز الا ان المصطفى ﷺ جمعها له بل وغرس بيديه الطاهرتين ٣٠٠ نخله، وتحول هذا العبد سلمان الفارسي الى المستشار الأول نائب قائد المعركة عليه الصلاة والسلام في غزوة الخندق ليفخر به كل من عرفه رضي الله عنه.



الفصل السادس: حب النبي ﷺ للرسل والأنبياء







المقدمة

قال ابن كثير رحمه الله (قال علي ابن ابي طالب وابن عمه عبد الله ابن عباس، رضي الله عنهما: ما بعث الله نبياً من الأنبياء الا أخذ عليه ميثاق لئن بعث محمداً ﷺ وهو حي ليؤمن به ولينصرنه). ثم قالوا (فالرسول محمد ﷺ خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه دائماً الى يوم الدين وهو الامام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم ولهذا كان امامهم ليلة الاسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس وكذلك الشفيع في يوم الحشر في اتيان الرب لفصل القضاء وهو صاحب المقام المحمود الذي لا يليق إلا له والذي يحبد عنه أولو العزم من الانبياء والمرسلين حتى تنتهي التوبة اليه فيكون هو المخصوص به.

ان الله جمع الرسل والمرسلين ليلة الاسراء فصلى بهم وأن النبي ﷺ قال (ولقد رأيتني في جماعة من الأنبياء صلوات الله عليهم فإذا موسى ﷺ قائم يصلي وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي فحانت الصلاة فأمتهم) (رواه مسلم والبخاري). وان هذا فضل من الله عظيم من به على المصطفى ﷺ وميزه عن سائر الأنبياء والمرسلين بل وأخبرهم بخبره منذ آدم عليه السلام حتى عيسى عليه السلام فكلهم بشروا بنبوة المصطفى ﷺ وحدثوا عنه والحمد لله أن نبينا بهذه المنزلة فرفعة شأنه هي بلا شك رفعة لشأن أمته الكريمة.

وذكر القاضي عياض رحمه الله : ان النبي ﷺ أم بالأنبياء جميعاً في بيت المقدس، فربما يكون رأيهم وعرفهم .. وأن لم يقص عليه من أخبار بعضهم شيء.

وهناك احترام وتقدير وحب بين رسولنا ﷺ والانبياء والرسل فقد مدح النبي ﷺ عبادة داوود وصبر أيوب وقال (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى



والآخرة قالوا كيف يا رسول الله ؟ قال: الأنبياء اخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد فليس بيننا نبي) (رواه مسلم)، وأثنى على يونس كما ذكر موسى ﷺ وهو الذي أكثر ما ذكر في القرآن الكريم من الرسل السابقين وقال أنا أحق به وأثنى على عبادته وكذلك لإبراهيم ﷺ وكان ﷺ لا يقبل أن يقارن بأي نبي أو رسول لتواضعه وحسن خلقه وأدبه عليه أفضل الصلاة والسلام عليه.

أولاً : علاقة المصطفى بالرسل السابقين :

قال يوسف لأخيه: لا تتأس وقال شعيب لموسى : لا تخف وقال رسولنا لأبي بكر: لا تحزن. نشر الطمأنينة في ساعات القلق منهج الأنبياء (أدهم الشرقاوي) ورسولنا الكريم ﷺ قدوة وامام هذا المنهج لذلك سماه المولى عز وجل خاتم النبيين.

ولقد علم رسول الله ﷺ أُمَّتُهُ أَنَّ رسل وأنبياء الله السابقين كالبناء العملاق القائم على التكامل والتعاون؛ لأداء مهمّة واحدة، وهي الدعوة الى توحيد الله تعالى، ومن ثم قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ. قَالَ: فَأَنَا اللَّبَنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ» (رواه مسلم).

كما أمر رسول الله ﷺ أيضًا أُمَّتَهُ أَلَّا تُفَاضِلَ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ، فقال: (لا تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ) (رواه البخاري) وهذا خلق وأدب المصطفى ﷺ في تعامله مع الأنبياء والمرسلين .

وعندما حدث خلاف بين مسلم ويهودي حول المفاضلة بين الأنبياء غضب رسول الله ﷺ لصالح ترك الجدل والدخول في هذه المسألة حتى لا تثير المشاكل،



فقد روى أبو هريرة فقال: بينما يهودي يعرض سلعته أعطي بها شيئاً كرهه، فقال: لا، والذي اصطفى موسى على البشر. فسمعه رجُلٌ من الأنصار فقام فلطم وجهه، وقال: تقول: والذي اصطفى موسى على البشر. والنبي بين أظهرنا؟! فذهب إليه فقال: أبا القاسم، إن لي ذمّةً وعهداً، فما بال فلان لطم وجهي؟ فقال: «لَمْ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟!». فذكره، فغضب النبي حتى رئي في وجهه، ثم قال: «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى أَخَذَ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَذْرِي أَحْوَسَبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ أَمْ بُعِثَ قَبْلِي؟ وَلَا أَقُولُ إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى». (صحيح ابن ماجة) وهذا من تمام تواضع وحب المصطفى ﷺ لإخوانه الأنبياء والمرسلين.

إن رسول الله ﷺ لا يتحرّج أن يذكر مثل هذه الحقائق، وبخاصّة في هذا الموقف الذي فيه خلاف بين مسلم ويهودي؛ فقد تناسى المصطفى ﷺ تماماً قصّة هذا النزاع، وتذكّر أخاه في النّبوة سيدنا موسى بن عمران عليه السلام، فانبرى مدافعاً عنه رافعاً من شأنه؛ إيماناً من رسول الله ﷺ بأنه لا ينبغي أن يفرّق بينهم عليهم السلام بل على العكس من ذلك نقول: إنّ الإسلام يُوجب علينا أن نحبّ الأنبياء السابقين، وان نكن لهم المودة والاحترام التامين؛ لأنّ الإيمان بالأنبياء وحبهم ركن من أركان الإيمان بالله في العقيدة الإسلامية السمحة.

ثانياً: تعظيم المصطفى لأنبياء الله

ذكر ابن هشام في السيرة النبوية قصة عداس النصراني مع المصطفى ﷺ في رحلة الطائف قال: فلما رآه (النبي ﷺ) ابن ربيعة عتبة وشيبة وما لقي (من خذلان من أهل الطائف) تحرّكت له رحمهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عداس فقالا



له : خذ من هذا العنب فضعه في طبق ثم اذهب الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه... فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده، قال بسم الله ثم أكل فنظر عداس في وجهه ثم قال: والله ان هذا الكلا ما يقوله أهل هذه البلاد فسأله النبي: من أي بلد أنت يا عداس، قال: أنا رجل من أهل نينوى فقال المصطفى ﷺ من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال الرسول ﷺ ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي.

فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه وهذا من لطف وتواضع المصطفى ﷺ حيث لم يقول أنا رسول وهو نبي أقل درجة أو أي كلام مستقل منزلة النبي يونس ولكن قال كان نبياً وأنا نبي اجلالاً وتقديراً له فهذه أخلاق المصطفى وحبه لإخوته الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

صاحب الفكرة يجب أن يتحمل الكثير من أجل توصيل فكرته ولنا في الأنبياء قدوة (عبد الرحمن منيف). لذلك نجد رسول الله ﷺ يُعَلِّمُ أُمَّتَهُ تعظيم الأنبياء السابقين عموماً، بل ويخصُّ بالذكر الأنبياء الكبار للديانتين اليهودية والنصرانية، فيقول رسول الله ﷺ عندما عَلِمَ أَنَّ اليهود يصومون يوم عاشوراء؛ احتفالاً بإنجاء الله لموسى عليه السلام وبني إسرائيل من عدوهم: «أَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ». فصامه وأمر بصيامه. (مسند أحمد).

كما قال رسول الله ﷺ عن عيسى عليه السلام في صحيح البخاري: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَاتٍ دِينَهُمْ وَاحِدٌ، وَأُمَمَاتُهُمْ شَتَّى». هكذا كان ينظر رسول الله ﷺ إلى أنبياء الله؛ فشتان بين نظرة مستمدة من قيم الإسلام الأصيلة وغيرها من النظرات المحرّفة القاصرة.



هذه هي مكانة الأنبياء الكرام عند المصطفى ﷺ، وحتى عندما كان يتمنى من نبي سابق فعلاً غير الذي فعل، كان يُقدِّم أمنيته بالدعاء له؛ فتجده -مثلاً- عندما تمنى أن لو كان موسى عليه السلام قد صبر في رحلته مع الخضر يقول: (يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصِّرَ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا). (رواه البخاري)

وعندما رأى رسول الله ﷺ أن هناك كلمة أولى من الكلمة التي قالها لوط عليه السلام وحكاها عنه القرآن الكريم عندما قال: ﴿ قَالَ لَوْ أَنِّي بِيَدِي قُوَّةٌ أَوْ إِيَّائِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود: ٨٠]، قال رسول الله: (... وَيَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) (صحيح ابن ماجة).

بل إن المصطفى ﷺ يتجاوز الأنبياء السابقين ليمدح أتباعهم والذين ساروا على نهجهم وثبتوا على دينهم، فها هو ذا يمدح الراهب النصراني في قصة أصحاب الأخدود، وها هو ذا يمدح الأعمى من بني إسرائيل الذي شكر نعمة الله تعالى، وها هو يمدح جريجاً ويذكر قصته للصحابة ولنا، وهو من عباد بني إسرائيل، ونحمد الله أن المصطفى ﷺ سعى لتقريبنا احتراماً للرسول والأنبياء ولباقي الأمم وهذا واضح في كتب السنة النبوية.

وأكثر من ذلك أن رسول الله ﷺ طلب من الصحابة أن يتخذوا الثابتين من السابقين من أصحاب الديانات الأخرى قدوةً ونبراساً للهدى!

انظر إليه وهو يضرب فيه المثل بأتباع دين آخر، قال خبَّاب بن الأرت: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسدٌ بردةً له في ظلِّ الكعبة؛ قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمُنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ



لَيُتِمَّنَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ. (رواه البخاري).

هذه هي نظرة المصطفى (ﷺ) للأنبياء ولأتباعهم، وهو أمر ثابت في منهج حياة رسول الله من أول بعثته، فهم لِبَنَاتٍ في صرح توحيد هائل ضخمة، ولا معنى لتنازع اللبّات في البناء الواحد، إنما هو الحب والاحترام والتكامل والتعاون لأداء مهمّة واحدة، وهي توحيد الله ربّ العالمين وعبادته.

ومن ثمّ فإننا نحن المسلمين - لا نكتفي بمجرد الاعتراف والإيمان بمن سبقنا من الرسل، وإنما نحبههم ونوقّرهم جميعاً، ونجلهم، ونرفع قدرهم فوق عامة البشر، وكيف لا وقد اصطفاهم ربنا على خلقه، وجعلهم قدوة للعالمين وأمرنا رسوله (ﷺ) وعلمنا كيف ذلك.

الفصل السابع: حب الرسول لمكة والمدينة المنورة







المقدمة

ان حب المصطفى ﷺ لوطنه كان واضحاً بالسيرة النبوية المشرفة مثال للعطاء فقد كان حريصاً على بلده كل الحرص فأهلها أهله وبلادهم بلاده، لقد حرص على الود بين طبقات المجتمع في مكة والمدينة والاصلاح ذات البين والمساواة بالحقوق بينالناس، بل وحرص على نظافة الطرق ودعى الى رفع الأذى عنها ووصى بالجار والضعيف والمستثمر الأجنبي وعرف أصحابه بأن البلد لها حقوق وواجبات فالناس مسؤولون عن سمعتها وحفظها من كل مكروه وأكد على المواطنة والتي هي حق الجميع حتى غير المسلمين منهم أيأ كانوا.

لكي نفهم مفهوم حب الدولة بالنسبة للمصطفى ﷺ يجب ان نلخص الأحداث الرئيسية منذ نزول الدعوة الى وفاته، والتي فيها ميلاده وعمله وزواجه وحياته والدعوة، ومن ثم تأسيس دولة المدينة وتأسيس قواعدها حتى أصبحت أعظم دولة في العالم غلبت أعظم امبراطوريتين فارس والروم خلال عقدين من الزمان وفي نفس الوقت، ووضعت دستورها وقوانينها وتمتعت بنظام يعد الأغنى في العالم وحافظ على حقوق الأقليات، وراعى المحتاج والفقير والضعيف. في البداية كانت دعوته صلى الله عليه وآله وسلم سرية في مكة لمدة ثلاث سنوات، حتى كون نواة الإسلام الأولى بعدها سارت الدعوة المحمدية علنية مسارها عشر سنوات في مكة، خلالها أمر المسلمين باستخدام الصبر والحوار والتبليغ كدرع ضد الاضطهاد والتعذيب الذي تعرضوا له، ثم هاجر الى يثرب (المدينة) وفيها ١٥ ألف ساكن تقريباً بادئ الأمر، ووضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة المنورة الحبيبة له بعد الهجرة أسساً ستة للدولة الناشئة:



- ١ - المسجد: مركز للقيادة والإرشاد والتوجيه والتعليم والتثقيف.
 - ٢ - الإخاء بين المهاجرين والأنصار، والدعوة بينهم افشاء السلام، واطعام الطعام.
 - ٣ - كتابة الصحيفة (الدستور) التي تنظم العلاقة بين كل مواطني المدينة بمختلف دياناتهم وقبائلهم وأعراقهم، والتي أيضاً رسخت حب المصطفى للمدينة صلى الله عليه وآله وسلم للمدينة المنورة.
 - ٤ - بناء السوق للمدينة لتكون مركزاً تجارياً اقليمياً لبيع التمور وغيرها من المنتجات واعتماد العملة وقواعد التجارة والاستثمار لتحقيق الاكتفاء الذاتي لحبيته المدينة المنورة.
 - ٥ - بناء الجيش والسرايا لحماية المدينة.
 - ٦ - السياسة الخارجية لبناء علاقات مع باقي الدول حباً بالمدينة فقد قام بإرسال الوفود (٤٢ وفداً) الى القبائل والدول والإمبراطوريات موقعاً اتفاقيات سياسية وتبشيرية، وكما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه خلال امارته: «أنتم الى أمير فعال احوج منكم الى أمير قوال».
- بدأت العمليات الأساسية ذات التأثير السياسي التي قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها منحصرة في الجزء التالي:

اولاً: حب الوطن والمواطنة:

حب الوطن من الوهلة الأولى كان واضحاً في حياة المصطفى ﷺ، لما خرج صلى الله عليه وسلم من الغار (ليالي الهجرة)، وسار في غير الطريق المعروف من مكة الى المدينة حتى لا يجده كفار قريش فلما سار مسافة أبعدته عنهم، رجع إلى الطريق الرئيسي، ونزل بالجحفة (بين مكة والمدينة) ونظر إلى الطريق النازل إلى مكة،



فاشتاق إليها وذكر مولده ومولد أبيه، فنزل جبريل عليه السلام، فقال: أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم، فقال جبريل: إن الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ (القصص: ٨٥)، لرادك إلى مولدك في مكة، لرادك إلى مكة (رواه البخاري).

وكان عليه الصلاة والسلام قد وقف على مرتفع، ونظر إلى مكة نظرة مودع مليئة بالاشتياق قائلاً: إني لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله، وأكرمها على الله تعالى، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت منك.

فحب الوطن والشوق إليه من الفطرة الإنسانية، والمهاجرون حين تركوا أرض مكة حنوا إليها كثيراً، واشتاقوا كثيراً حتى انهم مرضوا اشتياقاً لها، وأن بلالاً رضي الله عنه تمنى أن يعود إليها مع أنه قد عذب على أرضها كثيراً.

وفي المدينة نجح المصطفى ﷺ في زرع حب المدينة وتنمية شعور الانتماء للمدينة لكل سكانها، وبسبب قتل سفير الرسول ﷺ خرج في اليوم التالي جيش جرار من المدينة متوجهاً للقاء الروم، والغساسنة في أصعب فترة بالسنة وأحرها فزعة لقتيل واحد، فأبى شعور بالمواطنة وحب الوطن أكبر من هذا عرفه التاريخ، وكيف بعد خمسة عشر سنة من التأسيس تغلبت على أكبر امبراطوريات العالم.

ثانياً: تأسيس الشخصية على حب الوطن.

لقد أهتم المصطفى ﷺ بتربية الشخصية المحبة لوطنها القيادية الفذة والأدب الراقي لجميع من حوله، وكان عبر وسائل وأدوات عدة، قائمة كلها على تعاليم الإسلام في المرحلة «المكية»، وكانت ذات طبيعة روحية، وكان دائماً هناك تعريف وتذكير بأحوال الأمم السابقة التي جحدت وظلمت وعاقبتها ومعه كان ترسيخ مفاهيم العقيدة الإسلامية الصحيحة بصفاتها وتمايزها عن العقائد الباطلة، مع



تبشير المسلمين بمستقبل طيب ومبارك فيه الحق منصور، وقد حققت هذه الأدوات والوسائل نجاحاً لإعداد قادة المستقبل أمثال أبي بكر وعمر وحزمة ومصعب وأبي عبيدة وعثمان وعلي وبلال وغيرهم رضي الله عنهم جميعاً.. يظهر ذلك بجلاء فكلهم أبناء تلك المرحلة للدعوة المكية، أهدت به نخبة من ذوي الأقدار تجمع بين عظمة الحسب وعظمة الثروة وعظمة الرأي وعظمة المهمة، وكل منهم ذو شأن في عظمته تقوم عليه دولة وتنهض به أمة.

وخلاصة تربيته في اعداد القادة والمجتمع الإسلامي الأول العطاء للوطن وحبه والسمت والادب وحسن الأخلاق وسماحة في الأنظار وسماحة في القلوب، فالسماحة هي الكلمة الواحدة التي تجمع هذه الخصال من أطرافها، والسماحة هي الصفة التي ترقى في المصطفى ﷺ إلى ذروة الكمال، فحقاً أنك لعل خلق عظيم.

اما في المدينة المنورة بدأت المهام العملية في حب الوطن والمواطنة، وكان الرسول ﷺ اعرف الناس بالناس في معرفة قدراتهم وإمكانياتهم فقد كان يكلفهم بالمهام حسب قدراتهم واستعداداتهم كما يقال في العصر الحاضر: «الرجل المناسب في المكان المناسب»، فقد عين خالد بن الوليد رضي الله عنه قائداً وإن تأخر اسلامه، فقدمه على كثر من السابقين على الإسلام في الحروب، ومثله عمرو بن العاص رضي الله عنه، وكذلك كان يوزع مهام حكام الولايات والقضاء والزكاة، فيختار الأفضل (وليس الأقدم أو الأتقى أو الأقرب لأنه الوطن والمواطنة أهم وفوق كل اعتبار) لكل مهمة، «يقاس ذكاء الحاكم بذكاء رجاله» (سنيكا).

وتم تحقيق أكبر قدر متاح من الحماية للوطن وللمسلمين داخل المجتمع المكي الوثني المعادي للإسلام والمسلمين، وفق الأعراف والفرص التي كانت سائدة آنذاك في هذا المجتمع، مثل كتمان الإيمان والإسرار بالعبادات الإسلامية بالنسبة للبعض، ومثل القبول أو طلب حماية بعض سادة قريش الوثنيين ممن



تعاطفوا مع بعض المسلمين بسبب أواصر الدم والنسب، أو الصداقة أو بدوافع أخلاقية ذاتية، ومن أبرز الأمثلة على الحماية التي تمت بدافع النسب والدم حماية أبي طالب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحماية عشيرة أبي بكر الصديق له، وكذا عشيرة عثمان ابن عفان له وغيرهم، ومن أبرز عمليات الحماية بدوافع أخلاقية حماية المطعم بن عدي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد عودته من الطائف، وكذلك إجارة ابن الدغنة - سيد القارة - لأبي بكر الصديق عندما همّ الأخير بالهجرة إلى الحبشة، وفي إطار الرغبة في تحقيق هذه الحماية أيضاً تم استعمال أسلوب آخر هو أسلوب الهجرة، وفي هذا الإطار تمت عمليتا الهجرة للحبشة، الهجرة الأولى والهجرة الثانية وهنا لا بد من الإشارة الى مواطنة المهاجرين في الحبشة وتقديرهم لها ولأهلها، وهما في التحليل الأخير دخول في حماية ملك أجنبي عن مكة هو ملك الحبشة، الذي كان معروفاً عنه في ذلك الوقت أنه ملك عادل لا يظلم أحداً عنده.

وقد حققت هذه الحلول كلها نجاحاً ملحوظاً وإن تفاوتت درجاته، ورغم هذا ففي هذه المرحلة تم حبس النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعشيرته من بني عبد المطلب وبني هاشم سواء مسلميهم أو كافرينهم المساندين للنبي في شعب أبي طالب ثلاث سنوات لا يصلهم الطعام إلا تهريباً، كما تعرض الكثير من المسلمين للتعذيب طوال العشر السنوات التي دارت فيها الدعوة الإسلامية في مكة في شقها العلني، بل مات بعض المسلمين تحت التعذيب كما تعرض الكثيرون منهم لإصابات بالغة وخطيرة، وذلك لحكمة أرادها الله تعالى في إطار تمحيص وبناء الشخصية الإسلامية اعداداً لهم للمرحلة المدنية الصعبة القادمة وبناء الدولة، وكانت لهم المكانة كما هو الآن في كثير من الدول توضح اعتبارات خاصة للمؤسسين لفضلهم، ولما عانوه من مشقة في الاستقلال وبناء الدولة.



واهم الدروس المستفادة تصفية وفلتره المجتمع المكي ولو كان الدخول في الإسلام سهلاً هيناً لدخل فيه كثيرون من غير الصادقين من الذين كان سيضعفوا قدرة الدولة منذ بداية نشأته، وبالعكس لما ظهر المنافقون بعد ذلك في المدينة بعدما قوى الجسد الإسلامي واعطاهم مناعة مكتتهم تجنب الآثار الضارة لهذه الظاهرة، «الحياة تتطور من خلال صراع المتناقضات» (هيجل ماركس).

ثالثاً: البحث عن دولة الإسلام وتأسيسها:

رأس الحكمة مخافة الله (سليمان الحكيم)، سعى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لإقامة دولة الإسلام في بلد غير مكة، وذلك عبر دعوة كبار ورؤساء العديد من قبائل الجزيرة العربية للإسلام والتعاهد على النضال من أجل حماية دعوة الإسلام، وكانت دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لزعماء القبائل تتم في موسم الحج من كل عام بمكة بما إنها مؤتمر إقليمي وتجمع ديني وثقافي، كما أنه ذهب بنفسه الشريفة للطائف حيث عرض دعوته على زعمائها فرفضوا الإسلام، وفي هذا الإطار دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم العديد من القبائل ورفض البعض بينما تردد آخرون، وفي النهاية قبل الأوس والخزرج الإسلام وهما القبيلتان العربيتان اللتان كانتا تسكننا يثرب، وبعد قبول أهل يثرب للدين الإسلامي انتقل المسلمون ليثرب التي أصبحت اسمها (المدينة المنورة) الأسماء مهمة بالنسبة للمصطفى وفي ترسيم التطورات العالمية ولتأكيد حبه لها) وبانتقال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لها بدأت مرحلة جديدة من تاريخ الإسلام، وتاريخ الدولة المتحضرة.

بدأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إقامة الدولة في المدينة المنورة بكل حب وتفاني وبإقامة المسجد النبوي الشريف الذي بإنشائه صار مقر الحكم ورمز الدولة الإسلامية، كما قام صلى الله عليه وآله وسلم بوضع أسس العلاقة بين



المسلمين الذين جاءوا معه من مكة (المهاجرين) وبين مسلمي الأوس والخزرج سكان المدينة الأصليين (الأنصار أو أنصار رسول الله)، وكانت الأخوة بين هذين الفريقين هي أساس هذه العلاقة فيما سمي «بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار»، مما يعد أول تأخي بين قومين بهذا النجاح في العالم، فقد جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم كل واحد من المهاجرين أخاً لواحد من الأنصار، وجرى الشرع حينئذ على أنهما كالشقيقين يتوارثان بعضهما البعض إلى أن تم إلغاء هذا التوارث مع استقرار تشريعات الميراث في شكلها النهائي، وكان هناك تشابه بين المتآخين في الاهتمامات والعمل والثقافات وهذا كان مقصوداً بهدف التكامل والتطور، فكان من ذلك أن أخى بين أبي بكر وخارجه بن زيد، وأخى بين الزبير وكعب بن مالك، وأخى بين عثمان بن عفان وبين رجل من بني زريق بن سعد الزرقي رضي الله عنهم أجمعين، «فحقاً المجتمع سعادة» (شكسبير)، وقد ضرب الأنصار أروع ألوان الإيثار في هذه الأخوة حيث صار كل أنصاري يقسم بيته وكل مزارعه أو أمواله مع أخيه المهاجر، وافق بعض المهاجرين على عرض الأنصار بشأن تقاسم الدور ولكنهم رفضوا تقاسم النخل، بل قبلوا العمل معاً على أن يصيروا شركاء في ما ينتج من ثمر، بينما رفض بعض المهاجرين أخذ شيء من الأنصار (عبد الرحمن بن عوف) الذي قال لأخيه الأنصاري جزاك الله خيراً وبارك الله لك فيما أعطاك أريد فقط أن تدلني على السوق، وانطلق إلى السوق فباع واشترى حتى صار من كبار تجار المسلمين، وفيما فعله المهاجرون والأنصار نزلت العديد من الآيات تشني على سلوكهم هذا كقوله تعالى: ﴿وَالسَّيْقُوتَ الْأُولَىٰ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠)، «أصدق مقياس للديمقراطية هو مدى الحرية التي يتمتع بها أفقر المواطنين» (جون جلاسورتي).



رابعاً: وضع الدستور تعزيزاً للمواطنة وحب المدينة:

«الحكومة الحققة حكومة قوانين لا حكومة افراد» (جولد ادامز)، ولم تقتصر خطوات تأسيس الدولة الإسلامية في المدينة على بناء المسجد والإخاء بين المهاجرين والأنصار فقط، بل كانت هناك خطوات أخرى لصهر بقية سكان المدينة من يهود ووثنيين في إطار مواطنة وبناء أواصر التعاون وحب الدولة الإسلامية، ومن هنا تأتي أهمية الوثيقة المشهورة باسم وثيقة المدينة بينما أطلق عليها بعض الكتاب المعاصرين اسم (دستور المدينة)، وذلك لأنها بحق بمثابة نص دستوري وفي منتهى الأهمية والتحضر والتقدم الدستوري، وكان من أهم بنود هذه الوثيقة المعروفة في كتب التراث باسم (صحيفة المدينة) ما يلي:

- ١ - المسلمون من قريش ويثرب ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم، أمة واحدة من دون الناس.
- ٢ - المسلمون جميعاً على اختلاف قبائلهم يتعاقلون بينهم ويفيدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
- ٣ - المؤمنين لا يتركون مفرحاً (أي المثلث بالديون) بينهم أن يعطوه في فداء أو عقل.
- ٤ - أن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى ظلم كبير، أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم.
- ٥ - ذمة الله واحدة، يحير عليهم أديانهم، والمؤمنون بعضهم موالى بعض دون الناس.
- ٦ - لا يحل لمؤمن أقر بما في الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً أو يؤويه، وإن من نصره أو أواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، لا يؤخذ منه صرف ولا عدل.



٧- اليهود ينفقون مع اليهود ما داموا محاربين ويهود بني عوف أمة مع المؤمنين، ولليهود دينهم وللمسلمين دينهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يهلك إلا نفسه وأهل بيته.

٨- على اليهود نفقاتهم وعلى المسلمين نفقاتهم وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

٩- كل ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله.

١٠- من خرج من المدينة آمن، ومن قعد آمن، إلا من ظلم وأثم وإن الله على أصدق ما في الصحيفة وأبره، وإنه جار لمن بر واتقى.

وانتهت أهم بنود هذه الوثيقة الدستورية وكفى بها ترسيخاً وتأسيساً لأصول المواطنة وحقوق وواجبات المواطنة وحرية الاعتقاد في دولة الإسلام، التي بدأت بالحب والاحترام للجميع تشق طريقها في غابة الوثنية في العالم المحيط.

خامساً: تطوير البنية التحتية للمدينة:

اهتم المصطفى ﷺ في بناء البنية التحتية من أول يوم دخل فيه المدينة، حيث شرع بشراء أرض المسجد النبوي بعشر دنائير من أيتام المدينة سهل وسهيل، ومكان المسجد النبوي استراتيجي الموقع للمدينة برمتها، حيث أصبحت مركز المدينة، يخرج منه أربع طرق رئيسية.. الأولى باتجاه منازل أهل المدينة، والطريق الثاني إلى السوق الجديد، والثالث لمقبرة البقيع، والأخير لباقي خدمات المدينة، وطريق طوارئ إضافي ووضع نظام صيانة وتنظيف لهذه الطرق، وعند اكتمال بناء المسجد النبوي والذي كان أكبر مبنى يقام في المدينة يضم مصلى ومركز ثقافي وخيمة تطبيب لعلاج المرضى.



وحرص المصطفى ان يكون خلف السوق الجديد الذي أسس مواقف للإبل ومساحات كبيرة للتوسعة وتخزين وتحرك البضائع.

كما حرص المصطفى ﷺ على توفير المياه للشرب لأهل المدينة، فشجع عثمان بن عفان رضي الله عنه على شراء نصف بئر اليهودي أولاً واهداه للمسلمين، وعندما أصبح بلا جدوى بالنسبة لليهودي باعه لعثمان بالكامل ليكون وقفاً لأهل المدينة، كما عمل مع أصحابه على صيانة ثلاثة آبار منها ما كان قديماً ويرمى به القاذورات، الا ان المصطفى صلى الله عليه وسلم شرع الى الوضوء منه مفتوحاً فترة جديدة من وجود اربع آبار في خدمة أهل المدينة لمشربهم ليكون الماء بالمجان، بميزانية متواضعة لا تزيد عن خمس آلاف دينار ذهب (تعادل ٦٠ ألف دينار كويتي) جهز بها المصطفى ﷺ طرق المدينة ومياه شرب المدينة، واشترى ارض المسجد النبوي، وبناه، وفتح السوق الجديد ليضع عهد تتمتع المدينة فيه بكل خدمات المعيشة وتطورت المدينة المنورة لتكون مطمع للقبائل وباقي القوى في الجزيرة العربية.

لم يكن المصطفى ﷺ رجل أعمال يعمل بما لديه من أعمال، ولكن كان صاحب رؤية كلمة عطاء للمدينة وأهلها معطياً أفضل الأمثلة بالمواطنة وحب الوطن، فقد كان في المدينة أربعة أسواق، فقام الرسول بفتح سوق خامس، واهتم ببناء السوق ليكون تجمع اقتصادي يقوم على العدالة وتلبية احتياجات الناس جميعاً وهو الأكبر والأوسع، خالي من الضريبة واعتمد عمله الدينار الذهب البيزنطي عمل تداول الشراء والبيع وألغى ما شابها من غش وتلاعب، هذا السوق له نظام وقانون عادل، فما زاحم أحد في سوقه ولا طلب من المسلمين أن يقاطعوا الأسواق القديمة أو ان يغيروا منهاجها، وجعل بالسوق قبة ليتبايعوا فيها ويشهده الشهود المعنين لضبط



الجودة وحفظ الحقوق، وجعل هذا السوق الجديد حراً للجميع، وكان يراقب السوق حافظاً على الجودة وقيم التعامل في البيع والشراء، وحقوق التجار والعملاء.

جعل المصطفى ﷺ المساواة أساس التعاملات ليست التجارية فقط ولكن حتى الشخصية، وبدأ بنفسه الطاهره، فقد كان ﷺ يحلب شاته ويخفف نعله ويخدم نفسه ويعلف ناضحه، أي البعير التي يستقي عليه الماء، فقد كان حريصاً كل الحرص على أجر الأجير، بل وقال في رواية البخاري ومسلم أنا خصم كل من لم يدفع لأجيريه يوم القيامة، فإذا رأى الخدم لهم عملاً في البيت يماثل عمل سيدهم ومالك أمرهم، فتلك هي المساواة التي تمسح ضير الخدمة وتجبر كسرهما، ولا تقتصر على العطف والرحمة. ولم يقبل عليه الصلاة والسلام خدمة من خادم يأنف الأحرار أن يقضوها له شاكرين. فما كان في رجالات المسلمين كابر ابن كابر إلا كان يتمنى أن يؤدي لنبيه تلك الخدمة التي تطوعت بها نفوس مواليه وأتباعه، لذلك حرصوا على خدمة الرسول ﷺ، وابنائهم كذلك تناوبوا على خدمته، وكان حقاً فخراً لهم.

ويعجبني ما قاله نجيب سالم في كتابه خدام الرسول: بأن كل من خدم المصطفى فاز بثلاث: الغنى، والعلم، والعزة.

واستكمالاً لحق المواطنة لرجال الأعمال حرص الرسول ﷺ على وضع تشريعات السوق الاقتصاد الإسلامي واستحدث أدوات مالية جديدة تحل محل الربا، بيت المال وأدوات الديون الإسلامية كالشاركة والاجارة والصكوك والمضاربة والمرابحة، وأكد على الاهتمام بكتابة الصفقات والديون والميزان، وحرم بعض الأدوات الغير عادلة التي استحدثتها بعض تجار اليهود والكفار.



« رأس الحكمة مخافة الله » (ارسطو) واستكمالاً للمواطنة الداخلية اهتم أيضاً بالمواطنة الخارجية فقد اهتم المصطفى ﷺ في بداية الأمر ببناء تجمع يجمع الجميع بمعاهدات المسجد النبوي ليضم المسلمين، وقصد النبي ﷺ بالدعوة عظماء الأمم وملوكها وأمراءها؛ لأنهم أصحاب السلطة التي تأبى العقائد الجديدة، وقد تبين بالتجربة بعد التجربة أن السلطة هي التي كانت تحول دون الدعوة المحمدية، وليست أفكار مفكرين ولا مذاهب حكماء؛ لأن امتناع المقاومة من هؤلاء العظماء والملوك كان يمنع العوائق التي تصد الدعوة الإسلامية.

سادساً: بناء الجيش وبناء دولة المدينة المنورة

الأساس الرابع هو بناء الجيش، ورغم أن أتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان معظمهم قد مارسوا القتال في جاهليتهم وعرفوا كيف يحملون السلاح ويستخدمونه في ظروف «لا يبقى فيها من لا يحمل سلاحاً»، ورغم أن الأنصار الذين قامت دولة الإسلام في المدينة على أكتافهم قد أعلنوا للرسول ﷺ يوم بيعتهم في العقبة عن قدراتهم في القتال وبأسهم في الحروب، إلا أن الظروف الجديدة التي بدأ الإسلام يجتازها وتصاعد الموقف الحربي بينه وبين القوى الوثنية وخاصة في أعقاب الهجرة إلى المدينة، ونزول الآيات القرآنية تؤذن ببدء القتال المسلح.

كل ذلك حتم على الرسول ﷺ أن ينمي هذه القدرات وأن يدفع أتباعه إلى مزيد من التدريب والمهارة العسكرية في مواجهة الأعداء الذين يحيطون بالدولة الجديدة إحاطة السوار بالمعصم، وراح الرسول القائد صلى الله عليه وآله وسلم طيلة العصر المدني يعمل على تعليم أتباعه فنون القتال وتدريبهم على استعمال السلاح، رافعاً شعاراً واضحاً لا غموض فيه وهو قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ



مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ [الأنفال: ٦٠].

١ - المشورة أساس الحكم والقيادة

«من استبد برأيه هلك ومن شاور الناس شاركها عقولها» (الامام علي) لأن الكل معني بمدينة المنورة فلما اشتدت الحال على المسلمين في غزوة الخندق من حصار المشركين من قريش ومن قبائل غطفان، وغدر اليهود من بني قريظة، اجتمع رسول الله ﷺ بزعمين من زعماء غطفان (أكبر قبيلة عربية كانت مع المحاصرين) وهما عينة بن حصن الفزاري، والحارث بن عوف المري وعرض عليهما مبدئياً أن يعطيها الثلث من إنتاج ثمار المدينة، إذا رضى أهل المدينة بذلك على أن ينسحبوا من حصار المسلمين.

ثم استشار الرسول ﷺ بعد أن حضر زعيما الخزرج والأوس (سعد بن عباد وسعد بن معاذ) هذا اللقاء، فقال الزعيان الصحابييان: يا رسول الله، إن الله أمرك بهذا فسمعاً وطاعة، وإن كان شيئاً تصنعه لنا (من رأيك) فلا حاجة لنا فيه؟ فقال عليه الصلاة والسلام: إنما هو شيء اصنعه لكم (من رأيي) لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة (اجتمعت كلها لقتالكم)،

فقالا: لقد كنا نحن وهؤلاء القوم (الأعداء كلهم) على الشرك بالله، وعبادة الأوثان وهم لا يطمعون أين يأكلوا منها (ثمرنا) ثمرة الاقوى (الطعام أو الفاكهة التي تقدم للضيف) أو بيعاً (أي أنهم كانوا يشترون منا) فحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعزنا بك، نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم الا السيف، فصوب رسول الله ﷺ رأيهما، ولم يتم الاتفاق مع زعمي المشركين (زاد المعاد وسيرة ابن هشام، والسيرة الحلبية).

٢- الوفاء سمة الحكام

كان المطعم من زعماء قريش في الجاهلية ولم يدخل الإسلام، ولكنه كان يقف مواقف حميدة مع الرسول ﷺ فهو الذي أداره وأدخله مكة بعد أن منعه المشركون من دخول مكة بعد عودته من الطائف، فنذكر موقفه هناك وقال بعد انتهائه من بدر: (لو كان المطعم بن عدي حياً، ثم كلمني في هؤلاء التنني (أسرى بدر) لتركهم له) (رواه البخاري) وكان هذا القائد العسكري ﷺ الملهم الخبير بتجنيد بعوث الحرب وبعوث الاستطلاع خبيراً كذلك بتجنيد كل قوة في يديه متى وجب القتال، إن قوة رأي وإن قوة لسان وإن قوة نفوذ، فما نعرف أن أحداً وجه قوة الدعوة توجيهاً أسدّ ولا أنفع في بلوغ الغاية من توجيهه عليه الصلاة والسلام كما بينا في الفصل السابق.

سابعاً: الحكم الحديث والرعاية الصحية والقضاء العادل:

وما أكثر ما سمعنا عن الأمن والنظام خصوصاً في العالم المتحضر والمستبد، وتوطيد أركان القانون، ولكننا لا نعرف في كل ما قيل كلاماً هو أجمل لوجوه الصواب في هذه المسألة من قول النبي ﷺ: (اسمعوا واطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن راسه زبيبة) (رواه البخاري)، ومن قوله فيما رواه عبادة بن الصامت: (... ألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان) (رواه البخاري)، ومن قوله: (إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم) (صحيح الالباني) بالإضافة إلى أحاديث في هذا المعنى هي جماع الضوابط التي تقوم عليها الإدارة الحكيمة، والخطط السليمة المستقيمة، بين الحاكم والمحكوم.

لقد كانت حكمته ﷺ تنبع من النظام وفوق النظام سلطان، وفوق السلطان برهان من الشرع والعقل لا شك فيه، وجميع أولئك على ساحة وحب الوالد



لأبناءه لا تتعسف الريبة ولا تلتمس الغلواء لأن السباحة والحب أساس ومنهج الحكم بالمدينة.

١ - الرعاية الصحية

هذا الإلهام النافذ السديد في تدبير المصالح العامة، وعلاج شئون الجماعات، وهو الذي أوحى إلى الرسول الأُمِّي ﷺ قبل كشف الجراثيم، وقبل تأسيس الحجر الصحي بين الدول، وقبل العصر الحديث بعشرات القرون، أن يقضي في مسائل الصحة، واتقاء نشر الأوبئة مثل «كورونا»، وغيرها من الأمراض المعدية، والتي أفضل علاج لها ما نصته الشريعة المحمدية، وبفضل الخطاب الذي لم يأت العلم بعده بمزيد، حيث قال: (إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها) (رواه البخاري).

فتلك وصية من ينظر في تدبيره إلى العالم الإنساني بأسره لا إلى سلامة مدينة واحدة أو سلامة فرد واحد ونحن نمر بهذه الأوقات العصبية نكافح فيها داء فيروس «كورونا» نرى أفضل الأحكام حكم المصطفى عليه الصلاة والسلام، إذ ليس أصون للعالم من حصر الوباء في مكانه، وليس من حق مجموعة أو مدينة أن تنشُد السلامة لنفسها والاحتفاظ بسرية أوبئتها، أو لأحد من سكانها بتعريض دول العالم المفتحة على بعض كلها لعدواها.

٢ - القضاء العادل

أهمية القضاء العادل في بناء المواطنة وحب الوطن عظيمة فالكثير من الناس هاجروا من دولهم التي ترعرعوا فيها هرباً من القضاء الجائر وأحد أهم خصائص الحكم العادل، قدرته على القضاء العادل الصائب، فكثيراً ما يعرض على الحاكم من أمور نخير بينها، وإن لم يملك ملكة القضاء لن يتمكن من الاختيار الصائب،



أما رسولنا سيد الخلق ﷺ فقد كان معلم القضاء، فقد أصَل القضاء أفضل تأصيل، فهو الداعي الى سماع جميع الأطراف قبل القضاء، والدراسة والاجتهاد في معرفة القضايا من كل جوانبها قبل البت فيها، فإذا أصدر القاضي حكماً على حادثة معينة فإن هذا الحكم يتغير بتغير الظروف والأحوال والأشخاص والزمان والمكان، قال عمر بن الخطاب امير المؤمنين: «بالعدل جنة المظلوم وجحيم الظالم» وحتى لا يهرب أبناءنا من الظلم الجائر الى العدل الأجنبي.

والنبي ﷺ بالإضافة إلى انه رسول مبلغ كان هو القاضي الذي يفصل في القضايا التي يختلف الناس عليها أو فيها، والأصل هنا أن أي قضاء يصدره في اية قضية، يجب على القضاة اليوم الالتزام بها، إلا إذا جاءت أدلة على تغير الأحوال أو الزمان والمكان بما يقتضي تغير الحكم بناء على مقاصد الشريعة وأحكامها، بل وتعدى المصطفى ﷺ آلاف السنين في تطوير القضاء، فقد انتهج نهج القرآن الكريم في إدارة الصراعات بالصلح لأنه سيد الأحكام وبالتحكيم، وجعله الحكم النهائي الغير قابل للتغير لأنه يتم عن طريق اختيار المحكمين بقناعة وطيب نفس كما قال المولى عز وجل (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ان يريدوا اصلاحاً يوفق الله بينهما ان الله كان عليماً خبيراً) (النساء: ٣٥)، فهذا خلاصة التحكيم وهو أول تحكيم بالتاريخ يقره الله عز وجل في أوثق عقد كما وصفه المولى (ميثاقاً غليظاً) بين الزوج وزوجه، وارتضى ان يكون حكم التحكيم لفك الخلاف بينهم ويقوم المحكمين باختيار محكم ثالث كما هو معمول به عالمياً الآن في المحكمة الدولية PCA التابع للأمم المتحدة، ومركز التحكيم الدولي والذين يعتبران أكبر وأعلى مستوى تحكيم في العالم، وهذا النظام قد استحدث عن مالا يزيد عن ٥٠ سنة بينما في ديننا الحنيف منذ ١٤٤٥ سنة، فما جملة واعدله من دين، والقانون العادل كما وصفه اناتول



فرانس بأنه: «لا يضطر احد للنوم تحت الجسر او التسول او السرقة»، ومن امثلة
القضاء الحاكم العادل عن المصطفى ﷺ :

١ - قبول تحكيم أبي بكر في خلاف عائشة مع المصطفى

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان بيني وبين رسول الله ﷺ كلام، فقال:
(من ترضين ان يكون بيني وبينك؟ ارتضين بأبي عبيده الجراح؟ قلت: لا، ذلك هين
لين يقضي لك، قال: أترضين بأبيك؟ قالت نعم، فأرسل الى أبو بكر فجاء، فقال:
أقصي، فقالت: بل اقصص انت، فقال: هي كذا وكذا، فقلت: اقصد (والقصد
الاستقامة والصدق) فرفع أبو بكر يديه فلطمني، وقال: تقولين يا بنت فلانة اقصد؟
من يقصد إذا لم يقصد رسول الله؟ جعل الدم يسيل من انفها، فقال رسول الله ﷺ:
انا لم نرد هذا، وجعل يغسل الدم بيده من ثيابها ويقول: رأيت كيفك ابعد الله منه).

٢ - رحمة حتى بالسارق

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إني لأذكر أول رجل قطعه (أي قطع يده
رسول الله ﷺ) أتى بسارق، فأمر بقطعة، وكأنها أسف (حزن) وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم (وكان عليه رماد يريد أن لا يكون هذا قد سرق). قالوا: كأنك
كرهت قطعه؟!

قال: وما يمنعي؟! لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيك، إنه ينبغي للأمام إذ
انتهى إليه حد أن يقيمه، إن الله عز وجل عفو يحب العفو (رواه أحمد).

٣ - العفو العظيم

«الرحمة جوهرة القانون ولا يستخدم القانون بقسوة الا الطغاة» (شكسبير)،
كان فتح مكة من المواقف العظيمة التي تجلت فيها رحمته ﷺ حيث سيطر على



أهل مكة، وتمكن من هؤلاء الذين ملئت الكتب بظلمهم، وباعتدائهم الدائم على المسلمين عامة، وعلى النبي الكريم ﷺ وأهله بصفة خاصة، فبسطوا أيديهم بالأذى، وأطلقوا السنتهم بالسب والشتم، وها هم الآن يقفون بين يديه ﷺ - وهذه فرصة للانتقام - وان انتقم لا يلام!

٤ - سحب القيادة من الأب لتعطى لابن

أعطى رسول الله ﷺ الراية لسعد بن عباد (زعيم الخزرج) فجعل سعد يهزها ويقول: اليوم يوم الملحمة، اليوم يذل الله قريشاً. فأمر رسول الله ﷺ سعداً أن يعطي الراية لأبنة قيس ونزعها منه وقال: بل اليوم يوم الرحمة، اليوم يعز الله قريشاً، وفي هذا الموقف من العبر كفاية تشرح حكمة الحاكم والقائد العسكري الذي لا يخذل النفوس ويطيئها، ويحقق الأهداف الأسمى، دونما أي خلاف، فحقاً الله يعلم حيث يجعل رسالته.

٥ - العفو عند المقدرة

ودخل مكة متواضعاً مطأطئ الرأس حتى تكاد لحيته الشريفة تلامس واسطة رحله (ناقته).

ودخل على ناقته القصواء التي خرجت به من غار ثور ثماني سنين طريداً، مستخفياً، مهاجراً، أعزل الا من إيمانه، ليس معه غير صاحبه ابي بكر والله ثالثهما، وهو الآن يدخل مكة وطنه الأول في أكثر من عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار والذين آمنوا من غيرهم، يرددون: لا إله الا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، واعز جنده.

وتجلت أعلى درجات العفو والرحمة عندما خطب في اهل مكة قائلاً: يا معشر قريش ماذا تظنون أي فاعل بكم؟ وهل تظنون غير الخير بني الرحمة؟ فقالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم.



فقال: أقول كما قال أخي يوسف: ﴿ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ (يوسف: ٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ (يوسف: ٢٩). اذهبوا فأنتم الطلقاء. فأَيُّ قلب يستطيع أن يعفو هذا العفو ويغمر بحبه هذا الحب تجاه من ظلمه وشرده واصحابه، وحاولوا اغتياله، فما ارحمك يا رسول الله ﷺ!! فهذا حقاً اذلال لعدوك عدلك كما وصفها ابن المقفع.





الفصل الثامن: حب الرسول للجنة وترغيبه فيها







المقدمة

ولا نهائي في رغبة الانسان شيء ساقط ينظر الى الجنة، وقال جاك كيروك كن لطيفاً مع الجميع طوال اليوم وستشعر كما لو أنك في الجنة.

لقد أحب الرسول ﷺ الجنة حباً عظيماً ودعا اليها في الكثير من الأحاديث، بل وقد قرن أعمال الصالحات والعبادات بالجنة، ترغيباً للمسلمين فيها، وسنذكر على سبيل المثال بعض الآيات والاحاديث النبوية تبين أهمية الجنة في حياة الرسول ﷺ، قال الله عز و جل: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ١٣٤ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣٥ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ١٣٦﴾ (سورة آل عمران).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله مالنا إذا كنا عندك رقت قلوبنا وزهدنا في الدنيا وكنا من أهل الآخرة فإذا خرجنا من عندك فأنسنا أهلينا وشممنا أولادنا أنكرنا أنفسنا فقال رسول الله ﷺ لو أنكم تكونون إذا خرجتم من عندي كنتم على حالكم ذلك لزارتكم الملائكة في بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء الله بخلق جديد كي يذنبوا فيغفر لهم. قال: قلت: يا رسول الله مم خلق الخلق؟ قال: من الماء. قلت: الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من دخلها ينعم لا



يبأس، ويخلد لا يموت؛ لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم. ثم قال: ثلاث لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب تبارك وتعالى: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين (صحيح الترمذي).

وقال رسول الله ﷺ: إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلا، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخريين، يطوف عليهم المؤمنون، وجنتان من فضة، أنيتهما وما فيهما، وجنتان من كذا، أنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن (رواه البخاري)، أما عمن الرفقاء والزوجة بالجنة فهما أيضاً أمنية عظيمة حرص المصطفى ﷺ بالحديث عنهم فقد قال شيشرون: ما كان لإنسان أن يستمتع باكتشاف متع الكون كلها لو كان بالجنة إذا لم يكن له شريك يتقاسم معه المباحج.

أولاً: تحبيب المصطفى بالجنة:

قال رسول الله ﷺ: « لغدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى أهل الأرض لمألت ما بينهما ريحا، ولأضاعت ما بينهما، ولنصفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها (صحيح الجامع).

وعن سهل ابن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: « شهدت من رسول الله ﷺ مجلسا وصف فيه الجنة. حتى انتهى. ثم قال ﷺ في آخر حديثه (فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ثم اقترأ هذه الآية: ﴿ نَتَجَاوَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ »



أما في وصف الجنة وجمالها فحدث ولا حرج لأن فيها ببساطة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: « يقول الله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرأوا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرأوا إن شئتم (وظل ممدود) وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها واقرأوا إن شئتم (فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) »

وقال رسول الله ﷺ: (إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدّها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام) (صحيح الترغيب)، وقال رسول الله ﷺ: « وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت) (صحيح البخاري). وقال رسول الله ﷺ: « إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلا، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخريين، يطوف عليهم المؤمنون، وجنتان من فضة، أنيتهما وما فيهما، وجنتان من كذا، أنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن (صحيح البخاري).

عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنه قال: « سئل النبي ﷺ عن الجنة فقال (من يدخل الجنة يحيا فيها لا يموت وينعم فيها ولا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه قيل يا رسول الله ما بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة ملاطها المسك تراها الزعفران حصباءؤها اللؤلؤ والياقوت) (إسناده حسن). وقال رسول الله ﷺ: « إن في الجنة مئة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة، ومن فوقها يكون العرش، فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس » (إسناده صحيح، وقال رسول الله ﷺ: « إن ما بين مصرعين



في الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم، وإنه لكظيم (السلسلة الصحيحة).
وروى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن في الجنة لسوقا، يأتونها كل جمعة،
فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم. فيزدادون حسنا وجمالا، فيرجعون إلى
أهلهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا. فيقول لهم أهلهم: والله! لقد ازددتم بعدنا حسنا
وجمالا. فيقولون: وأنتم، والله! لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا (صحيح مسلم).

وقال رسول الله ﷺ: سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو
رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة، فيقول أي رب!
كيف؟ وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك
مثل ملك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب! فيقول: لك ذلك ومثله
ومثله ومثله ومثله. فقال في الخامسة: رضيت رب! فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله.
ولك ما اشتئت نفسك ولذت عينك. فيقول: رضيت رب! قال: رب! فأعلاهم
منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها. فلم تر
عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر. قال ومصدقه في كتاب الله عز وجل:
﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة الآية - ١٧] » (صحيح
مسلم)، وقال رسول الله ﷺ: إن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها
اقرأوا إن شئتم (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا
متاع الغرور) (صحيح الترمذي).

قال رسول الله ﷺ: « الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر
والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج »
(صحيح الترمذي) وقال رسول الله ﷺ: « لغدوة في سبيل الله أو روحه خير
من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم أو موضع يده في الجنة خير من الدنيا



وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها (صحيح الترميذي).

وقد قال رسول الله ﷺ: « المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعهُ وسنه في ساعة كما يشتهي » (صحيح الترميذي)، وقال رسول الله ﷺ: « إن في الجنة بحر الماء، وبحر العسل، وبحر اللبن، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار بعد » (صحيح الترميذي). وقال رسول الله ﷺ: « إنما نسمة المؤمن طائر في شجر الجنة حتى يبعثه الله عز وجل إلى جسده يوم القيامة » (صحيح النسائي)، وقال رسول الله ﷺ: (الشاة من دواب الجنة) (صحيح ابن ماجه).

ثانياً: أهل الجنة وفضلهم

قال رسول الله ﷺ: « إن أرواح الشهداء في طير خضر تعلق من ثمر الجنة، أو شجر الجنة (صحيح الترميذي)، وقال رسول الله ﷺ: « أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم (صحيح ابن ماجه)، وقال رسول الله ﷺ: « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة » (صحيح الترميذي).

قال رسول الله ﷺ: « في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة، ومن فوقها يكون العرش، فإذا سألتهم الله فأسالوه الفردوس (صحيح الترميذي)، وقال رسول الله ﷺ: « في قوله { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة } قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، نادى مناد: إن لكم عند الله موعداً، قالوا: ألم يبيض وجوهنا، وينجنا من النار ويدخلنا الجنة ؟ قالوا: بلى، فيكشف الحجاب، قال: فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه (صحيح الترميذي).



قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: أنا أعطيتكم أفضل من ذلك؟ قالوا: وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا (صحيح الترميذي).

قال رسول الله ﷺ: «يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حمما، ثم تدركهم الرحمة، فيخرجون ويطرحون على أبواب الجنة قال: فيرش عليهم أهل الجنة الماء، فينبتون كما ينبت الغناء في حمالة السيل، ثم يدخلون الجنة (صحيح الترميذي). وقال رسول الله ﷺ: «ينادي مناد إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا فذلك قوله تعالى (وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون) (صحيح الترميذي). قال رسول الله ﷺ: «لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (صحيح الترميذي).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» (متفق عليه). فإذا كانت الجنة محفوفة بالمكاره وأنواع المشاق، فكيف بأعلى درجاتها وأسمى منازلها؟

هذا يدل على أن الأمر ليس بالأمر الهين. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: أنزه الموجودات وأظهرها، وأنورها وأشرفها وأعلاها ذاتا وقدرًا وأوسعها: عرش الرحمن، ولذلك صلح لاستوائه عليه، وكل ما كان أقرب إلى العرش كان أنور وأنزه وأشرف مما بعد عنه؛ ولهذا كانت جنة الفردوس أعلى الجنان وأشرفها وأنورها وأجلها، لقربها من العرش، إذ هو سقفها، وكل ما بعد عنه كان أظلم



وأضيق، ولهذا كان أسفل سافلين شر الأمكنة وأضيقتها وأبعدها من كل خير» قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «من سابق في هذه الدنيا وسبق إلى الخير، كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة، فإن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان» (تفسير ابن كثير) وأهل الفردوس الأعلى هم السابقون المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ (الواقعة: ١٠-١٢).

ثالثاً : أسباب دخول الجنة

١ - جمع الأعمال الصالحة بيوم

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن تبع منكم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ فقال أبو بكر: أنا قال رسول الله ﷺ: « ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة».

٢ - طاعة الله والرسول بصدق

قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذَّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [سورة الفتح: ١٧] وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى) قالوا يا رسول الله ومن أبى؟ قال (من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) (رواه البخاري)

٣ - الجهاد في سبيل الله

ويكون بالتضحية في سبيل الله بالنفس والمال، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَجْرَجٍ يُنَجِّكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجُهِدُوا فِي سَبِيلِ



اللَّهُ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾
(سورة الصف ١٠-١٢)

٤- التوبة والعمل الصالح

فالتوبة تجب ما قبلها وكما قال ﷺ (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) [رواه ابن ماجة وغيره، صحيح الجامع] وقال تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [سورة مريم: ٦٠]

٥- الاستقامة على دين الله

قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة الأحقاف: ١٣] وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا بعدك. قال (قل) آمنت بالله ثم استقم (رواه مسلم).

٦- طلب العلم لوجه الله تبارك وتعالى

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (...) ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده.... (رواه مسلم).

٧- بناء المساجد

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول (من بنى مسجداً لله بنى الله له في الجنة مثله) (رواه البخاري).



٨ - حسن الخلق وترك المراء والكذب ولو كان مازحاً

قال ﷺ (أنا زعيم بيت في ربض الجنة، لمن ترك المراء وإن كان محقا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب، وإن كان مازحا، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه) (صحيح الجامع)، وقال ﷺ (أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق، وأكثر ما يدخل الناس النار الفم والفرج) وحسن الخلق يدخل فيه أشياء كثيرة لخصتها عائشة رضي الله عنها عندما سُئلت عن خلق النبي ﷺ فقالت : (كان خلقه القرآن) [رواه مسلم وأحمد] والرسول هو قدوتنا وقد امتدحه تبارك وتعالى بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤]

٩ - التطهر وصلاة ركعتين بعد الأذان

روى الأمام الترمذي في سننه والحاكم وابن خزيمة في (صحيحه) عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما قال: أصبح رسول الله يوم ما فدعا بلال، فقال: (يا بلال بم سبقتني إلى الجنة؟ إنني دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك [أي صوت مشيك] أمامي؟) فقال بلال: يا رسول الله! ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، ولا أصابني حدث قط إلا توضأت عنده. فقال رسول الله ﷺ (بهذا).

١٠ - الذهاب إلى المسجد

روى الأمام مسلم في صحيحه والأمام البخاري في صحيحهم وغيرهما عن أبي هريرة عن النبي ﷺ (من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح) ويقول الإمام النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث: (قوله ﷺ: أعد الله له في الجنة نزلا، النزول ما يهيأ للضيف عند قدومه).



١١ - الإكثار من السجود لله

عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوءه وحاجته، فقال لي: (سل)، فقلت: أسأل مرافقتك في الجنة، فقال (أو غير ذلك)، قلت: هو ذاك، قال: (فأعني على نفسك بكثرة السجود) (رواه مسلم).

١٢ - الحج المبرور

قال ﷺ (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) (رواه البخاري وغيره) وقال ﷺ: (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) (صحيح الجامع).

١٣ - قراءة آية الكرسي بعد كل صلاة

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة لم يحل بينه وبين دخول الجنة إلا الموت) (السلسلة الصحيحة) كما أن هناك أذكار أخرى وعد من قالها موقنا بها الجنة على سبيل المثال في صحيح البخاري عن شداد بن أوس _ رضي الله عنه _ عن النبي ﷺ: (سيد الاستغفار: أن يقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبو لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي، اغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) قال: ومن قالها في النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة).

١٤ - صلاة اثنتي عشرة ركعة تطوعاً

عن أم حبيبة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ (من صلى في يوم وليلة اثنتين عشرة ركعة بني له بيت في الجنة: أربعاً قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل صلاة الغداة [الفجر]).



١٥ - عمل الخيرات

قال ﷺ (يا أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام) [رواه ابن ماجه وغيره] وعن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ: (اضمنوا لي ستا من أنفسكم اضمن لكم الجنة، اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمتم، واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم). [رواه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم].

١٦ - (وهو خاص بالنساء) طاعة الزوج

روى ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: أدخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت) [صحيح الجامع].

١٧ - تربية البنات

أخرج أبو يعلى في «مسنده» عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ من كن له ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، فاتقى الله وأقام عليهن كان معي في الجنة هكذا، وأوماً بالسبابة والوسطى) (سلسلة الأحاديث الصحيحة) وفي صحيح مسلم وسنن الترمذي واللفظ له، قال ﷺ (من عال جارية دخلت أنا وهو الجنة كهاتين وأشار بإصبعيه).

١٨ - الصبر على موت الأبناء

قال ﷺ: (من احتسب ثلاثة من صلبه، دخل الجنة قالت امرأة: واثنان؟ قال: واثنان) (صحيح الجامع) وقال ﷺ: (ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد، لم يبلغوا حنثاً، إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته إياهم) [رواه الأمام احمد والنسائي]



وابن حبان، (صحيح الجامع) وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا، ثم احتسبه إلا الجنة) (صحيح الجامع).

١٩ - كفالة اليتيم

روى الإمام البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ قال: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وقال بإصبعيه السبابة والوسطى) [فتح الباري ١٠ / ٤٣٦].

٢٠ - زيارة المريض والأخ بالله

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (من عاد مريضا، أو زار أخا له في الله، ناداه مناد: أن طبت وطاب ممشاك، وتبوأ من الجنة منزلا) (صحيح الجامع) وقال ﷺ (من عاد مريضا لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع) (رواه مسلم).

٢١ - ذكر الله

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (خصلتان أو خلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم، إلا دخل الجنة، هما يسير ومن يعمل بهما قليل، يسبح في دبر كل صلاة عشرا، ويحمد عشرا، ويكبر عشرا، فذلك خمسون ومائة باللسان، وألف وخمسمائة في الميزان، يكبر أربعاً وثلاثين إذا أخذ مضجعه، ويحمد ثلاثاً وثلاثين، ويسبح ثلاثاً وثلاثين، فتلك مائة باللسان، وألف في الميزان) فلقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها، بيده، قالوا: يا رسول الله! كيف (هما يسير، ومن يعمل بهما قليل)؟ قال يأتي أحدكم (يعني) الشيطان في منامه فينومه قبل أن يقوله ويأتيه في صلاته فيذكره حاجة قبل أن يقولها) (حديث حسن صحيح).



٢٢- السباحة في البيع والشراء

روى الأمام البخاري في (التاريخ الكبير) والنسائي وغيرهما عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (أدخل الله عز وجل الجنة رجلا كان سهلا مشتريا وبائعا، وقاضيا ومقتضيا) (سلسلة الأحاديث الصحيحة).

٢٣- التجاوز عن المعسر

عن حذيفة عن النبي ﷺ: (أن رجلا مات فدخل الجنة فقيل له ما كنت تعمل » قال فأما ذكر وإما ذكر » فقال إني كنت أبايع الناس فكنت أنظر المعسر وأتجاوز في السكة أو في النقد فغفر له) (رواه مسلم).

٢٤- الصبر على فقد نعمة البصر

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ (يقول الله تعالى: من أذهب حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثوابا دون الجنة) (صحيح الجامع).

٢٥- تقوى الله

ومن أهم تعريفاتها: هي الخوف من الجليل والعمل الصالح والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل وقال تبارك وتعالى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [سورة الحجر: ٤٥]، والجنة أعدت للمتقين، قال ﷺ (أكثر ما يدخل الناس الجنة التقوى وحسن الخلق، وأكثر ما يدخل الناس النار الفم والفرج) [أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد سلسلة الأحاديث الصحيحة].



الفصل التاسع: حب الفقراء والمساكين والمرضى والجار







المقدمة

ان الفقراء في العالم مستضعفين حتى يومنا هذا يلاقون من الصعوبات ما يلاقون فيقول المثل الانجليزي ليس الفقر عاراً لكن كبرى العقبات، والمثل الاسباني يا طول نهار الفقير، والمثل الفرنسي عندما يدخل الفقر من باب يفر الحب من النافذة، أما في ديننا الحنيف وكما بينه المصطفى ﷺ فالوضع على خلاف ذلك فقد كان للفقراء والمساكين مكانة خاصة عند المصطفى ﷺ وارتباط وثيق فقد كان يجالسهم ويواسيهم ويأكل معهم ويتشارك معهم في كل شيء حتى أن أحد أسباب خلاف سادة قریش معه أنهم أرادوا أن يكون في مجلسهم فقط دون الفقراء والمساكين ورفض ذلك عليه الصلاة والسلام لحبه واحترامه للفقراء والمساكين.

فقد قال حبيبنا صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان» (اسناده حسن)، والحب في الله جزء منه محبة المساكين والذي يجعلنا نتذوق حلاوة الإيمان وقال النبي ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان»، ومنها: «وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله». (صحيح الجامع). ومحبة المساكين وتقريبهم والاهتمام بهم من أسباب القرب إلى الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، وبهذا وصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمنا عائشة رضي الله عنها فقال لها: «يا عائشة أحبي المساكين، وقربيهم، فإن الله يقربك يوم القيامة» (حديث غريب).

وذلك لأن المساكين الصابرين المؤمنين مقربين إلى الله يوم القيامة، فإذا اجتمع في الشخص إيمان مع فقر ارتفعت منزلته في الدنيا بقوة صبره وإجابة دعائه، وفي الآخرة بتشفيعه في الناس وعلو منزلته؛ لأن فقره كان سبباً لتواضعه ولين جانبه،



وقد عرف المصطفى ﷺ بحب المساكين والقرب منهم، وقد كان متواضعاً يحب مجالستهم، ويقول بالمساكين والفقراء يرزق الأغنياء، وبالضعفاء ينصر الأقوياء، يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم (رواه البخاري)، وذلك لأن الضعفاء أشد إخلاصاً في الدعاء، وأكثر خشوعاً في العبادة، لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا.

وقال بعض الأولياء والصالحين أن المساكين يقصد بهم كذلك المفتقرين إلى الله سبحانه وتعالى والمنكسرين له الذين خلعوا ثياب العجب والكبر وأتوا إلى الله طائعين مستسلمين، لذا نجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان كثيراً ما يدعو فيقول: «اللهم أحيني مسكيناً وأمّتي مسكيناً، واحشني مع المساكين (صحيح الترمذي والحاكم).

أولاً: حب الرسول للمساكين

وفي الحديث الحسن الصحيح الذي رواه الترمذي فقال رسول الله ﷺ سأحدثكم متاً حبسني عنكم النداء أني قمت من الليل فتوضأت فأستثقلت فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة فقال يا محمد قلت ربي لبيك قال فيم يختصم الملائكة في الكفارات قال ما هن قلت مشي الأقدام الى الجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلاة واسباغ الوضوء في المكروهات قال ثم فيم قلت اطعام الطعام ولين الكلام والصلاة بالليل والناس نيام قال سل قل اللهم اني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقرب الى حبك، قال رسول الله ﷺ انها حق فادرسوها ثم تعلموها.



ففي هذا الحديث العظيم الجامع للخيرات بين المصطفى ﷺ أهمية حب المساكين وقبل ذلك حب الله وحب من يحب الله والتقرب لله عز وجل وأوصانا بدراسة تلك الخصال وحفظها.

وهذا الدعاء المبارك الذي علمنا رسولنا الكريم ﷺ هو من أجمع الأدعية وأكملها، وأجلها قدراً وشأناً؛ لتضمنه سؤال الله تعالى التوفيق إلى القيام بأفضل الأعمال من الصالحات وسؤاله الوقاية من كل المنكرات والسيئات، والفتن والمحن في الدين والمعاش، والمعاد، والعمل به ينال السعادة والهناء في الدنيا، والبرزخ، والآخرة، فمن جلالة هذا الدعاء، وعلو مكانته أن الله تبارك وتعالى أمر حبيبه النبي ﷺ حينما رآه في المنام، ورؤية الأنبياء حق فقال له: (يا محمد، إذا صليت فقل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحُب المساكين، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي، وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةَ قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ)، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا وَتَعَلَّمُوهَا)، فأمر ﷺ بمدارسته وتعلم معانيه ومقاصده، فدل على خصوصية هذا الدعاء على غيره لهذه الأمور.

أما قوله (ﷺ): (وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ): فحب المساكين يدخل من جملة فعل الخيرات، وإنما أفرده بالذكر، وهو ما يُسمَّى بعطف الخاص على العام لشرفه وقوة العناية والاهتمام به، فقد سأل النبي ﷺ الله أن يجعله منهم، ويرزقه الحشر والوفاء معهم (اللهم أحييني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرنِي في زمرة المساكين).

وحب المساكين هو أصل الحب في الله تعالى؛ لأنه ليس عندهم من الدنيا ما يوجب محبتهم لأجله، فلا يحبون إلا لله عز وجل والحب في الله من أوثق عُرى الإيمان، وهو أفضل الإيمان، قال النبي ﷺ (من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان)، وتذوق حلاوة الإيمان قال النبي ﷺ (ثَلَاثُ



مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ كما ذكر سابقاً.

ثانياً: أهمية الفقراء والمساكين في الاسلام

لقد علم رسول الله ﷺ الناس في مدرسته الرحمة بالضعفاء والمساكين والفقراء وذوي الحاجات والمرضى وأصحاب البلاء والتقرب إليهم، ولو استعرضنا ما ورد عنه في هذا، لضاق بنا المقام.

قال ﷺ داعياً ربه: (اللهم أحييني مسكيناً وأمتني مسكيناً، واحشني مع المساكين) (رواه الترمذي والحاكم). فمن لا يغتبط بالتشبه برسول الله ﷺ وصحبته يوم القيامة. ومن هذا المنطلق انطلق المصطفى ﷺ في رحلته مع الضعفاء والمساكين، فقد كان الفقراء والمساكين هم الدعامة الأولى في الدعوة الإسلامية، وكانوا من أوائل من آمن بها واحتضنها، فكان ﷺ يجلس إليهم، ويقربهم إليه، حتى نقم عليه المشركون من سادة قومه، لاختياره هؤلاء عليهم. فقد روى عبد الله بن مسعود قال: «مَرَّ الْمَلَأُ مِنْ قَرِيشٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ صَهِيبٌ وَبِلَالٌ وَعُمَارٌ وَخُبَابٌ وَنَحْوُهُمْ مِنْ ضَعْفَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا يَا مُحَمَّدُ؛ اطْرُدْهُمْ، أَرْضَيْتَ هَؤُلَاءِ مِنْ قَوْمِكَ؟! أَفَنَحْنُ نَكُونُ تَبَعاً لَهُؤُلَاءِ؟! أَهَؤُلَاءِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا؟! فَلَعَلَّكَ إِنْ تَطْرُدْهُمْ أَنْ نَأْتِيكَ. قَالَ: فنزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَطَرَدْتَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: ٥٢).

وهكذا سارت رحمة المصطفى ﷺ بالضعفاء والمساكين، فقد أوصاه ربه سبحانه عز وجل بهم، فهو لن ينسى هذه الوصاة، لقد اختارهم على المستكبرين



من مشركي قومه، وعقد مقارنة بين الفئتين فقال: (ألا أخبركم بأهل الجنة: كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره. ألا أخبركم بأهل النار: كل عتُلٍّ جَوَاطٍ مستكبر) (رواه مسلم). ولم تفتّر صحبته ﷺ معهم، بل كانت تزداد مع الأيام، وطالما رآه الناس يسير مع المسكين، أو مع العبد، أو مع الأرملة، أو مع أيٍّ من الضعفاء، يسمع منهم، ويخفف عنهم، ويقضي حوائجهم. فقد حدث بعض أصحابه قال: (كان رسول الله ﷺ لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد، حتى يقضي له حاجته) (صحيح الجامع).

ثالثاً: رعاية الفقراء والمساكين طريق إلى الجنة

فقد كان ﷺ يدعو المسلمين إلى الرأفة والرحمة بهم، وتقديم يد العون والمساعدة لهم، ومن فعل، فإنما ينتظره الجزاء الأوفى الذي لا يفوز به إلا المقرَّبون عند الله، فقد روي عنه أنه قال: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار) (رواه البخاري). وكيف لا يكون ثواب من رحم هؤلاء، وقدم يد العون لهم، أجزل الثواب، وهم خير عباد الله؟! فقد روي عنه ﷺ أنه قال: (ألا أخبركم بخير عباد الله، الضعيف المستضعف ذو الطمرين، لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره) (السلسلة الصحيحة).

وكان المصطفى ﷺ دائم المراعاة لحال الضعفاء والرفق بهم والرأفة لحالهم وحبهم، حتى في شؤون العبادة، فقد روى عنه أبو سعيد الخدري قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العتمة فلم يخرج إلينا حتى مضى نحو من شطر الليل. فقال: خذوا مقاعدكم، فأخذنا مقاعدنا. فقال: إن الناس قد صلوا وأخذوا مضاجعهم، وإنكم لم تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة، ولو لا ضعف الضعيف، وسقم السقيم -وفي رواية: وحاجة ذي الحاجة -لأخرت هذه الصلاة إلى شطر الليل) (الجامع



(الصحيح). وروي عنه ﷺ أنه قال: (إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإن في الناس الضعيفَ والسقيمَ وذا الحاجة) (متفق عليه)، وقال: (من أمَّ قوماً فليخفف، فإن فيهم الكبير، وإن فيهم المريض، وإن فيهم الضعيف، وإن فيهم ذا الحاجة. فإذا صلى أحدكم وحده فليصل كيف شاء) (رواه مسلم).

لقد كان ﷺ يوصي الأقوياء من الناس بالضعفاء منهم حباً وتقدير ورأفة بحالهم. فقد روي عنه أنه قال لعمر بن الخطاب: (يا عمر، إنك رجل قوي، فلا تُؤذِ الضعيف)، وكان يراعي ذلك هو بنفسه، فقد حدث بعض أصحابه قال: (كان رسول الله ﷺ يتخلف في المسير، فيُزجي الضعفاء، ويُردف، ويدعو لهم) (صحيح ابو داود).

بل هو كان يبحث عن الضعفاء ليضمهم إليه ويقربهم منه، ويرغب الناس بذلك حتى تعم الرحمة بهم. فقد روي عنه ﷺ أنه قال: (ابغوني الضعيف، فإنكم إنما تُرزقون وتنصرون بضعفائكم) (رواه النسائي). ولهذا كان المصطفى ﷺ دائم المشاركة للضعفاء في مناسباتهم، ليعطي القدوة للناس من نفسه. حدث بعض أصحابه قال: (كان رسول الله ﷺ يأتي ضعفاء المسلمين، ويزورهم، ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم) (رواه الحاكم).

رابعاً: الفقراء والمساكين أصحاب حقوق على المجتمع والأمة

ولم تقتصر وصاته ﷺ برحمة الضعفاء على الصعيد الفردي فقط، بل هو أراد أن تعم الرحمة بهم لجميع الأمة عندما قال: (لا قُدِّست أمة لا يعطى الضعيفُ فيها حقه غير مُتَعَتَعٍ) (صحيح بن ماجة)، أما الفقراء؛ فطالما عني ﷺ بأمرهم، حتى أنه خصَّهم بمكان في مسجده، سُمِّي (الصفّة)، كان يجتمع فيه فقراء المسلمين، ويبيتون فيه، كي يتنبه الناس إلى وجودهم كل يوم خمس مرات، فيقدمون لهم ما



يفي بحاجتهم ويقوم بودهم، ريثما يتمكن كل منهم من السعي على نفسه.

وكان ذو الخلق العظيم ﷺ يذكر المسلمين دائماً بالفقراء ويقول: (من أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن، تقضي عنه ديناً، تقضي له حاجة، تنفس عنه كربه) (السلسلة الصحيحة) بل هو نَقَلَ للناس معاتبه الله سبحانه لهم يوم القيامة في أمر الفقراء، فبينَ فيما يرويه عن ربه، في الحديث القدسي، أن الله سبحانه يقول لابن آدم يوم القيامة: (يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني. قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمتَ أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمتَ أنك لو أطعمته لوجدتَ ذلك عندي، يا ابن آدم، استسقيتك فلم تسقني، قال يا رب، كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟! قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدتَ ذلك عندي) (رواه مسلم).

والباحث في قانون الزكاة والصدقة يستطيع أن يلغي من المجتمع الإسلامي شيئاً اسمه الفقر تماماً لأنه نظام متكامل للمجتمع الاسلامي، بل لقد نُسي في طرقات المدن الإسلامية منظر الفقراء والمتسولين في الدولة الإسلامية أول الأمر، لأنه لم يعد يراه أحد! حتى أن موظفي الدولة المختصين بتوزيع الزكاة والصدقة على المحتاجين آن ذاك صاروا لا يجدون من يقبل منهم ما يوزعون، فقد اكتفى الجميع.

كما أن تعاليم مدرسة محمد ﷺ، بحسب أوامر الله سبحانه، تقضي بالإيمان بوعود الآخرة أولاً، ثم إلى جانبها الحلال من مكاسب الدنيا، تماماً كما تقول الآية القرآنية: ﴿وَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (القصص: ٧٧). وبهذا الاعتدال والتوسط بين الدنيا والآخرة، استمر الإسلام، لأن قوة الإسلام تكمن في ذلك المزج الرائع بين الدنيا والآخرة.



ومن عدالة الإسلام المحمدي، التي تأخذ من الغني وتعطي الفقير، حتى يتقاربا، والجميع متحابون متعاونون عاملون للدنيا والآخرة، بل إن الغني المسلم يأبى إلا أن يُخرج من ماله نصيب الفقير منه، فإذا عطّلت الدولة ركن الزكاة ولم تجمعها من الأغنياء، وجدت هؤلاء يعملون على تأليف الجمعيات الخيرية فيما بينهم، لتقوم هي بإحياء هذا الركن، فتجمع الأموال التي يسارع الأغنياء بتقديمها عن طيب خاطر، من زكاة وصدقة، ثم توزعها على الفقراء، فيبيت هؤلاء وهؤلاء راضين مطمئنين شاكرين لله سبحانه.

خامساً: مراعاة شعور الفقراء والمساكين

وكثيراً ما رأيناه جابر القلوب والخواطر ﷺ يطيب خواطر الفقراء لحبه لهم، فينسيهم ألم الفقر وحدة الجوع؛ بما كان يُغدق عليهم من رحمته ورأفته بهم، وعطفه عليهم، حتى صاروا يشعرون بأنهم لا يقلون مكانةً عند الله عن الأغنياء، بل لعلهم يتفوقون عليهم. وبذلك زال ألم الفقر ونقمتهم من نفوسهم، وباتوا راضين هائنين سعداء. فقد روى أبو ذر الغفاري، وكان منهم، قال: قلت: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور - أي الأغنياء - بالأجور، يصلّون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضول أموال يتصدقون بها وليس لنا مال نتصدق به. فقال رسول الله ﷺ: (يا أبا ذر، ألا أعلمك كلمات تدرك بها من سبقك، ولا يلحقك من خلفك، إلا من أخذ بمثل عملك؟ تكبر الله دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وتحمده ثلاثاً وثلاثين، وتُسبّحه ثلاثاً وثلاثين، وتختتمها بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. من قالها غفر له ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر) (صحيح أبي داود وأخرجه البخاري).



وبعدما جعلهم المصطفى ﷺ يشعرون بشعور الأغنياء، أمرهم بالصدقة كما أمر الأغنياء، مما مكن عندهم الشعور بعزة النفس، وكان هذا من أبر الرحمة بهم، فقد روى أبو ذر أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «على كل نفس، في كل يوم طلعت فيه الشمس، صدقة منه على نفسه، قلت يا رسول الله، من أين نتصدق؟! وليس لنا أموال، فقال: إن من أبواب الصدقة: التكبير، وسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، وأستغفر الله. وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتعزل الشوكة عن طريق الناس والعظمة والحجر، وتهدي الأعمى، وتسمع الأصم والأبكم حتى يفقه، وتدلُّ المُستدلَّ على حاجة له قد علمت مكانها، وتسعى بشدة ساقيك إلى اللهفان المستغيث، وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف، كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك) ثم واساهم ﷺ المواساة التي تطيب بها كل نفس، ويرنو إليها كل مؤمن بالله، عندما قال: (واطلعتُ في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء) (صحيح ابن حبان).

سادساً: العناية بالمريض وصاحب المصيبة

يقول جان دوبا أن غالباً ما يكون للأمراض من تأثير في التاريخ والحضارة أكثر مما يكون لرجال السياسة والجنود ويقول ليتون أرفض أن تكون مريضاً ولا تخبر الناس بأنك مريض ولا تقر بذلك بينك وبين نفسك وهذا بسبب نفور المجتمع الغربي القديم عنهم.

وقد لا يكون الإنسان ضعيفاً ولا فقيراً ولا مسكيناً، بل يكون قوياً غنياً غير محتاج، لكنه يصاب بمرض، أو تحل به مصيبة، فعند ذلك تضعف نفسه، ويتغلب عليه شعور الإنسان الضعيف، فيصبح أحوج ما يكون للرحمة والمواساة وتخفيف وقع المصيبة عليه، ومثل هذا لم تهمله رحمة وحب محمد ﷺ، بل لقد علّم الناس في



مدرسته أن مثل هذا الإنسان حقيق بأن لا يجد من الآخرين سوى الرحمة، بل لعل الضعفاء والفقراء والمساكين أقدر منه على تحمل القسوة.

ولهذا فقد تتالت الأحاديث النبوية تبين كيفية الرحمة بالمريض وصاحب المصيبة، وتأمّر الناس بعيادة المريض ومواساة المصاب. فقد قال ﷺ: (من عاد مريضاً لم يزل يخوض في الرحمة حتى يرجع، فإذا جلس اغتمس فيها) (رواه البخاري) وقال: (خمسٌ من حقّ المسلم على المسلم: ردُّ السلام، وشهود الجنائزة، وعيادة المريض، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس إذا حمد الله) (رواه مسلم) وكان ﷺ يقول للناس: (عودوا المريض، أطعموا الجائع، وفكّوا العاني - أي الأسير -) (رواه البخاري).

وكان ﷺ دائماً، يعطي القدوة من نفسه فيزور المريض، ويدعو له بما شاء والأحاديث كثيرة في هذا، ولعل من أهم مظاهر الرحمة بالمريض، مداواة مرضه، وهذا ما كان ﷺ يأمر به المسلمين دائماً، فقد روي عنه أنه قال: (تداووا فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له دواء، غير الهرم) (النووي اسناده صحيح) بل هو ذَكَرَ للناس قانوناً طبياً ما يزال الطب اليوم لا يخرج عن مداره، وهو مناسبة الدواء للداء، لِتَحَقُّقِ الشفاء، فقد قال ﷺ: (ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء) (رواه البخاري) أي عندما يُعثر على الدواء المناسب للداء، فلا بدّ من البرء بإذن الله عز وجل.

يقول ليتلون: جميع الناس تقريباً يموتون من الأدوية التي يتناولونها وليس من الأمراض التي يصابون بها رسولنا الكريم ﷺ اهتم بالأدوية العامة، وكثيراً ما كان يذكر للناس بعض الأدوية، مثل الحجامة التي تتصدر اليوم قائمة العلاج في كثير من الأمراض، ومثل الحبة السوداء (حبة البركة) التي اكتُشِفَ اليوم من منافعها



ما يعرف أهميته الأطباء، ومثل العسل وهو غني عن التعريف، أما إذا لم يُعثر على الدواء المناسب، ونزل بالمريض ما ينزل من الآلام، فهنا تتكاثر الأحاديث النبوية مخففة عن المصاب مصابه، سواء أكان مرضاً أم غير مرض، واعدةً إياه بحسن الثواب من الله سبحانه، حتى يشعر المصاب أن يد الرحمة تمسح على رأسه، فتبعث فيه الأمل والرجاء، وتَعْمُرُ نفسه بالطمأنينة والرضى وهذا طلب العلاج النفسي الذي يحرص عليه العلم الحديث، قال المصطفى ﷺ: (ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها) (رواه البخاري). وقال: (ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها، إلا كُتِبَ له بها درجة، وُحِيتَ عنه بها خطيئة) (صحيح الجامع)، وقال: (ما يصيب المسلم من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هَمٍّ، ولا حُزن، ولا أذى، ولا غَمٍّ حتى الشوكة يُشاكها، إلا كفر الله بها خطاياها) (رواه البخاري).

بل إن الموت بسبب بعض الأمراض يُعدُّ شهادة يُكتب ثوابها للميت المسلم. قال ﷺ: (الطاعون شهادة لكل مسلم) (رواه مسلم)، بل إن على المسلم أن يرضى إذا أصابته مصيبة من مرض أو غيره، لما يراد به منها من الرحمة والخير. قال ﷺ: (من يُرد الله به خيراً يُصَبِّبْ منه) (رواه البخاري) بل ليس السعيد المهناً من مات دون أن يعرض له مرض في حياته! لأن هذا محروم من تكفير سيئاته. ولعل الذين يموتون دون أن يبتلوا أو يصابوا بمصيبة في حياتهم الدنيا يكونون من النادين سوء حظهم في الآخرة. فقد روي عنه ﷺ أنه قال: (يودُّ أهل العافية يوم القيامة، حين يُعطى أهل البلاء الثواب، لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض) (صحيح الجامع).

واخيراً قال ﷺ: (إذا مرض العبد أو سافر، كُتِبَ له بمثل ما كان يعمل مُقيماً صحيحاً) (رواه البخاري) هذا إن منعه المرض من أداء العبادة، أما إن كان يستطيع



أداءها بأوضاع غير أوضاعها فلا بأس، ورحمةً به فقد علمه النبي ﷺ كيف يؤديها بارتياح. قال لمريض سأله كيف يؤدي الصلاة؟: (صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب) (رواه البخاري) فحقاً عندما ساعدت أشخاص آخرين محتاجين ساعدني الله أكثر (كريستيانو رونالدو).

سابعاً: حب الجار

يقصد بها ميل القلب إليه ميلاً يتحقق به ايثار حبه على من سواه وعلى النفس مما يجعله منشغل بما يرضيه من أقوال وأفعال لذلك كانت محبة الرسول (ص) من أجل وأرفع أعمال القلوب والايان.

حب الرسول ﷺ للجيران:

لقد كان المجتمع في الماضي مجتمعاً فقيراً في مجمله ولذا كان النبي ﷺ يقول لأبي ذر: يا أبا ذر اذا طبخت مرقه فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك.

وكان يأمر النساء أن يتصدقن على جيرانهم ولو بشيء قليل (يا نساء المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسين شاه).

وكما روت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ لا زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيوريه.

وكما قال عليه السلام (خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره).

وقال عن رعاية الجار والاهتمام به (والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن، قيل من يا رسول الله قال: الذي لا يأمن جاره بوائقة)

بل وشدد على عدم اذاء الجار واعتبره اذاء له ﷺ (من أذى جاره فقد أذاني ومن



أَذَانِي فَقَدْ أَذَى اللَّهُ وَمَنْ حَارَبَ جَارَهُ فَقَدْ حَارَبَنِي وَمَنْ حَارَبَنِي فَقَدْ حَارَبَ اللَّهَ (

وفضاعة الزنا والسرقة يوم القيامة مضاعفة للجار عن من سواه.

كما وضع قواعد التفضيل بين الجيران حين حدد التفضيل بحسب قرب الباب وأمر بالمحافظة على حقوق الجار التي أوجدها نفسه (ص) حين قال (ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع الى جنبه)

وعندما قيل له (ص) من المرأة المصلية العابدة المؤذية لجيرانها بلسانها قال (لا خير فيها هي من أهل النار، وعندما سئل عن التي تصلي وتعبد كما المكتوبة فقط ومحسنة لجيرانها فقال هي من أهل الجنة).

حقوق الجار التي وجبها الرسول ﷺ علينا :

- ١ - الاحسان الى الجار قولاً وفعلاً.
- ٢ - ستر عورته وحفظ سره.
- ٣ - مشاركة أفراحه ومواساته في أحزانه.
- ٤ - تلبية دعوته وزيارته والسؤال عنه.
- ٥ - زيارته إذا مرض وتلبية احتياجاته عند القدرة على ذلك.
- ٦ - منع الأذى عنه ومساعدته ان أمكن .
- ٧ - غض البصر عن عوراته ونصحه.
- ٨ - السعي في الاصلاح بين الجيران.
- ٩ - المحافظة على نظافة وجمال المشترك بين الجيران من مرافق ومواقف.
- ١٠ - مبادرته بالسلام والدعاء له.



الفصل العاشر: حب أهل القرآن الكريم وخاصته







المقدمة

القرآن الكريم كلام الله المنزل - المتعبد بتلاوته، والمنقول إلينا بالتواتر، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس، أنزل ليكون المعجزة الخالدة لسيدنا محمد ﷺ، والقرآن الكريم كله خير، له منزلة عظيمة عند سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام وأهله وخاصته احباب رسولنا ﷺ لأنهم أحباب الله عز وجل، وقد وردت العديد من الأحاديث على لسان رسول الله ﷺ في فضائل بعض السور.

لقد وجد المصطفى ﷺ سلوته في القرآن الكريم حيث أن فيه جميع الاجابات لكل أسئلته بالتفصيل وبما قضاه الله عز وجل، وكان المصطفى ﷺ يضيق صدره ويكتئب اذا تأخر عليه نزول القرآن الكريم حتى من البداية بعد نزول أول الآيات (اقرأ) انقطع القرآن لمدة من الزمان فحزن المصطفى ﷺ حزناً كثيراً ولم يستقر فؤاده حتى رجعت واستمرت بالنزول وتكرر ذلك مرات كثيرة مثل لما انقطع الوحي من قبل سورة الضحى المحيية والمؤكد على مكانة الرسول ﷺ وحبه له.

وقد تأثر المصطفى ﷺ بالآيات أي تأثير فقد شيبته سورة هود وأخوتها من السور كما أن الآيات القرآنية جاءت تدافع عن المصطفى ﷺ في أماكن كثيرة وترد على الكفار والمنافقين واليهود والنصارى بل وزادته بأن بلغت المصطفى ﷺ عن أخبار الأمم من قبله كما أثنى المولى عز وجل على رسوله وخاطبه بكل تبجيل واحترام وعطف فحقاً القرآن الكريم كان خير ملازم حبيب يملأ فؤاد المصطفى ﷺ حكمة واستقرار وإيمان وتقوى وزادت من عزيمته وحفظته من كل مكروه والله يعلم حيث يجعل رسالته.





وقال الشيخ ابن جبرين رحمه الله: «الذين يقرؤون القرآن طوال عامهم، هم أهل القرآن، الذين هم أهل الله وخاصته، فمن أحب أن يكون من أهل الذكر فعليه أن يكون من الذين يتلون كتاب الله حق تلاوته، ويقرأه في المسجد، ويقرأه في بيته، ويقرأه في عمله وفي نفسه وبالسيارة، لا يغفل عن القرآن، ولا يخص شهر رمضان بذلك فقط.

ومن كان له ورد يومي من القرآن، فتركه لعذر من سفر أو مرض ونحوه لم يضره ذلك؛ لما عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا) (رواه البخاري) فلا ينبغي لمن أراد أن يكون من أهل القرآن أن يترك تلاوته يوما لغير عذر، فصاحب القرآن لا يغفل عنه ولا ينشغل عنه أبدا، والله أعلم.

أولاً: أحباب الرسول أهل القرآن

روى ابن ماجه وأحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: (هُمُ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ). قال المناوي رحمه الله: «أي حفظة القرآن العاملون به هم أولياء الله المختصون به اختصاص أهل الإنسان به، سموا بذلك تعظيما لهم كما يقال: «بيت الله»، قال الحكيم الترمذي: وإنما يكون هذا في قارئ انتفى عنه جور قلبه وذهبت جناية نفسه، وليس من أهله إلا من تطهر من الذنوب ظاهرا وباطنا، وتزين بالطاعة، فعندها يكون من «أهل الله» انتهى باختصار، ولا يكفي مجرد التلاوة ليكون من أهل القرآن، حتى يعمل بأحكامه، ويقف عند حدوده، ويتخلق بأخلاقه.



وللحافظ محمد بن الحسين الآجري رحمه الله في ذلك تحليل يربط به أحباب الرسول بأهل القرآن كما كان يقوم به ﷺ، جدير بالعناية، نذكر منه طرفا، قال رحمه الله: ينبغي لمن علمه الله القرآن وفضله على غيره، ممن لم يحمله، وأحب أن يكون من أهل القرآن وأهل الله وخاصته أن يجعل القرآن ربيعا لقلبه يعمر به ما خرب من قلبه، يتأدب بآداب القرآن، ويتخلق بأخلاق شريفة تبين به عن سائر الناس، ممن لا يقرأ القرآن: لأن القرآن الكريم خير مربى للانسان فأول ما ينبغي له أن يستعمل تقوى الله في السر والعلانية، باستعمال الورع في مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه، بصيرا بزمانه وفساد أهله، فهو يحذرهم على دينه، مقبلا على شأنه، مهموما بإصلاح ما فسد من أمره، حافظا للسانه، مميزا لكلامه، إن تكلم تكلم بعلم إذا رأى الكلام صوابا، وإن سكت سكت بعلم إذا كان السكوت صوابا، قليل الخوض فيما لا يعنيه، يخاف من لسانه أشد مما يخاف عدوه، قليل الضحك مما يضحك منه الناس لسوء عاقبة الضحك، باسط الوجه، طيب الكلام، لا يغتاب أحدا، ولا يحقر أحدا، ولا يسب أحدا، ولا يشمت بمصيبة، ولا ينبغي على أحد، ولا يحسده، وقد جعل القرآن والسنة والفقه دليلا على كل خلق حسن جميل، حافظا لجميع جوارحه عما نهى عنه، إذا قيل له الحق قبله من صغير أو كبير، يطلب الرفعة من الله، لا من المخلوقين، ماقتا للكبر، خائفا على نفسه منه، لا يتأكل بالقرآن ولا يحب أن يقضي به الحوائج، ولا يسعى به إلى أبناء الملوك، ولا يجالس به الأغنياء ليكرموه، يقنع بالقليل فيكفيه، ويحذر على نفسه من الدنيا ما يطغيه، يتبع واجبات القرآن والسنة، يأكل الطعام بعلم، ويشرب بعلم، ويلبس بعلم، وينام بعلم، ويجامع أهله بعلم، ويصطحب الإخوان بعلم، ويزورهم بعلم، يلزم نفسه بر والديه، وإن استعانا به على طاعة أعانها، وإن استعانا به على معصية لم يعنها عليها، ورفق بهما في معصيته إياهما بحسن الأدب؛ ليرجعا عن قبيح ما



أراداً مما لا يحسن بهما فعله، يصل الرحم، ويكره القطيعة، من قطعه لم يقطعه، ومن عصى الله فيه أطاع الله فيه، رفيق في أموره، صبور على تعليم الخير، يأنس به المتعلم، ويفرح به المجالس، مجالسته تفيد خيراً، قد جعل العلم والفقه دليلاً إلى كل خير، إذا درس القرآن فبحضور فهم وعقل، همته إيقاع الفهم لما ألزمه الله: من اتباع ما أمر، والانتفاء عما نهى، ليس همته متى أختتم السورة؟ همته متى أستغني بالله عن غيره؟ متى أكون من المتقين؟ متى أكون من المحسنين؟ متى أكون من المتوكلين؟ متى أكون من الخاشعين؟ متى أكون من الصابرين؟ متى أعقل عن الله الخطاب؟ متى أفقه ما أتلو؟ متى أغلب نفسي على ما تهوى؟ متى أجاهد في الله حق الجهاد؟ متى أكون بزجر القرآن متعظاً؟ متى أكون بذكره عن ذكر غيره مشغولاً؟ وحقاً هذه صفتهم ممن عاشرتهم حفاظاً للقرآن الكريم لأن هذا تربية القرآن وأخلاقه.

فمن كانت هذه صفته فهو من أهله وخاصته، أو ما قارب هذه الصفة، قد تلاه حق تلاوته، ورعاه حق رعايته، وكان له القرآن شاهداً وشفيعاً وأنيساً وحرزاً، ومن كان هذا وصفه، نفع نفسه ونفع أهله، وعاد على والديه، وعلى ولده كل خير في الدنيا وفي الآخرة «انتهى باختصار.

أخلاق حملة القرآن

وعلى من أراد أن يكون له حظ من قول النبي ﷺ في أهل القرآن إنهم أهل الله وخاصته ألا يهتم القرآن في أكثر من شهراً.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (اقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ، قَالَ إِنِّي أُطِيقُ أَكْثَرَ، فَمَا زَالَ حَتَّى قَالَ: فِي ثَلَاثٍ) (رواه البخاري)



ثانياً : فضائل السور القرآنية:

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلاً عاى سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: سلوه لأي شيء يضع ذلك فسأله فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبي ﷺ: (أخبروه أن الله يحبه) (رواه البخاري ومسلم) وهذا فضل محب السور الكريمة وجزاءه من الله عز وجل حبه وحب المصطفى ﷺ.

ولكل سورة من سور القرآن الكريم فضلٌ عظيم وفوائد جليلة، ويرتبط التدليل على فضائل آية أو عدة آيات أو سورة بعينها بسبب فضائل وفوائد جليلة، ومن تلك الفضائل والفوائد الآتي:

١ - فضل سورة الفاتحة

هي أول سور القرآن وسميت الفاتحة، وأم الكتاب، والشافية، والسبع المثاني... فتعتبر من أعظم سور كتاب الله عز وجل، وقد وردت في فضلها الكثير من الأحاديث النبوية الصحيحة، ومنها ما روي عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: (كُنْتُ أَصَلِّي فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أَجِبْهُ حَتَّى صَلَّيْتُ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّي كُنْتُ أَصَلِّي، قَالَ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}؟ ثُمَّ قَالَ: لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ، قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ قُلْتَ لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ، قَالَ: نَعَمْ {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ (رواه أبو سعيد المعلى). كما جاء في الحديث القدسي أن الله يقول: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين: نصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل،



فإذا قال العبد {الحمد لله رب العالمين} قال الله: حمدي عبدي، وإذا قال: {الرحمن الرحيم} قال الله: أثنى علي عبدي، وإذا قال: {مالك يوم الدين} قال الله: مجدي عبدي أو قال: فوض إلي عبدي، وإذا قال: {إياك نعبد وإياك نستعين} قال: فهذه الآية بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال {اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين} قال: فهو لاء لعبدي ولعبدي ما سأل {مجموع الفتاوي - صحيح}، ومن أهم فضائلها كونها شفاء لكل داء، فعن أبي سعيد - رضي الله عنه قال: إنها شفاء من كل سقم. وقيل: إن موضع الرقية والاستشفاء منها {إياك نستعين}.

٢- فضل سورة البقرة

وهي أطول سورة في القرآن الكريم، ويقال لها الزهراء، وسميت بأسم بقرة بني إسرائيل التي ذكرت فيها، ومن فضائل سورة البقرة العديدة أن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة) (رواه مسلم)، وفيها أعظم آية في القرآن الكريم، ألا وهي آية الكرسي، ومن قرأ آخر آيتين منها قبل النوم كفتاه كما أخبرنا المصطفى (ﷺ).

٣- فضل سورة آل عمران

ثاني سورة في كتاب الله مليئة بالمعاني والأحكام الإسلامية من أهم وأبرز فضائل هذه السورة أنها تُحاجج عن أصحابها؛ فقد روى أبو أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَؤُوا الزَّهْرَ وَابْنِ الْبَقَرَةِ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهَا غَيَاتَانِ، أَوْ كَأَنَّهَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا) (رواه مسلم).



٤- فضل سورة الإسراء

ويقال لها سورة بني إسرائيل، ايضاً سميت باسم معجزة الإسراء والمعراج، فقد ورد في الصحيح من فضائل سورة الإسراء ما رواه العرياض بن سارية: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ الْمَسْبُوحَاتِ، ويقول: فيها آيةٌ خيرٌ من ألفِ آيةٍ وهي: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الحديد: ٣)، والمسبوحات هُنَّ السور التي تُفتتح بقوله تعالى: سَبَّحْ، أو يُسَبَّحْ، ومنهن سورة الإسراء.

٥- فضل سورة الكهف

هي سورة عظيمة تخبرنا بأمر فتية أماتهم الله دهرًا ثم أحياهم ليكونوا عبرة وعظة للناس ردًا على اليهود والمشركين، من فضائل سورة الكهف العديدة أنَّ من حفظ عشر آياتٍ منها عُصِمَ من الدجال؛ وكذلك أنَّ من قرأها يوم الجمعة أضاء الله له من النور ما بين الجمعتين؛ فعن أبي الدرداء أنَّ النبي ﷺ قال: (من حفظ عشر آياتٍ من أول سورة الكهف عُصِمَ من الدجال)، وعن أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ قال: (من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الجمعتين) (صحيح النسائي والحاكم).

٦- فضل سورة الفتح

نزلت بعد صلح الحديبية لتصدق ما وعد رسول الله ﷺ به الناس من فتح مكة، ومن فضائل سورة الفتح أنَّها نزلت بُشْرَى للنبي ﷺ - بوعد الله بفتح مكة عاجلاً، ولذلك فإنَّ النبي ﷺ، قد أولاها محبةً خاصة؛ حيث روي أنه ﷺ (أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسِيرُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسِيرُ مَعَهُ لَيْلًا، فَسَأَلَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَنْ شَيْءٍ فَلَمْ يُجِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ



يُجِبُّهُ، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ يَا عُمَرُ، نَزَرْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذَلِكَ لَا يُجِيبُكَ، قَالَ عُمَرُ: فَحَرَّكَتُ بَعِيرِي ثُمَّ تَقَدَّمْتُ أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ، وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزَلَ فِي قُرْآنٍ، فَمَا نَشِيتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِخًا يَصْرُخُ بِي، قَالَ: فَقُلْتُ: لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزْلٌ فِي قُرْآنٍ، وَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ، لَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ثُمَّ قَرَأَ: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) (رواه البخاري).

٧- فضل سورة يس

قيل أن يس من الحروف المقطعة التي تبدأ بها بعض السور، وقيل غير ذلك، وفضائل سورة يس عديدة يصعب حصرها، فكما مرَّ سابقاً أن سورة يس تمتاز بإثبات يوم الحشر بشكل أظهر مما في غيرها من السور؛ لذلك سُميت بقلب القرآن، يقول الغزالي: «وذلك لأن الإيمان يحصل بالاعتراف بالحشر، وهو مقرر في هذه السورة بأبلغ مما في غيرها، فلذا جُعِلَتْ قلباً».

٨- فضل سورة تبارك

سورة ضمت التوحيد والتنزيه لله سبحانه، من فضائل تبارك أنها تشفع لصاحبها حتى يُغفر له، وأنها تُنَجِّي صاحبها من عذاب القبر؛ فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (هي المانعةُ هي المنجيةُ تُنَجِّيه من عذاب القبر) (صحيح الجامع)، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ - قال: (سورة تشفع لقائلها وهي ثلاثون آية ألا وهي تبارك الذي بيده الملك) (صحيح الترمذي)، وقد أرجع بعض العلماء فضلها سابق الذكر لكونها افْتُتِحَتْ بعظائم عَظَمَتِهِ، ثم بياهر قدرته، وإتقان صنعته، ثم بذم من نازع في ذلك، أو أعرض عنه، ثم بذكر عقابهم، وما له عليهم من النعم.

٩- فضل سورة الكافرون



جاءت للرد على من أراد من المشركين مفاوضة النبي ﷺ ان يعبد الله يوماً، ويعبد هو إلههم يوماً، مما يذكر في فضائل سورة الكافرون ما روي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِنُوفَلٍ: إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ عَنِ اللَّيْلِ فَاقْرَأْ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) ثُمَّ نَمْ عَلَى خَاتَمَتِهَا، فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشَّرِّ (صحيح الجامع الصغير).

١٠ - فضل سورة الإخلاص

ويقال لها سورة التوحيد، عظيمة وقصيرة، جاء في سورة الإخلاص من الفضائل ما لا حصر له، ومنها قوله ﷺ: أيعجز أحدكم أن يقرأ في الليلة ثلث القرآن؟ قالوا وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: (قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن) (رواه مسلم)، كما قال رسول الله ﷺ: (من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرًا في الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى له قصران ومن قرأها ثلاثين مرة بُني له ثلاث) (الامام أحمد صحيح) من أهم فضائلها أنها اشتملت على أقسام التوحيد الثلاث: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وحب هذه السورة من محبة الله، كما إن حبها يوجب دخول الجنة.

١١ - فضل سورتي الفلق والناس

دواء لكل قلق ورقية من كل بلاء، عن مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبِيبٍ بْنِ أَبِيَّةٍ قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يُصَلِّي لَنَا، قَالَ: فَأَدْرَكَتْهُ فَقَالَ: قُلْ فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ: قُلْ فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا قَالَ: قُلْ فَقُلْتُ مَا أَقُولُ، قَالَ: (قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء) (رواه البخاري)، وقد ذكر رسول الله من فضلهن أنه لا توجد مثلهن في القرآن ولا في غيره من الكتب السماوية، حيث قال ﷺ: (يا عقبه بن عامر ألا أعلمك سورًا ما أنزل في التوراة ولا في الزبور ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلهن لا تأتي ليلة إلا قرأت بهن فيها قل هو الله أحد و قل أعوذ برب الفلق و قل أعوذ برب الناس) (السلسلة الصحيحة).



الفصل الحادي عشر: حب ذوي الأخلاق الحسنة







المقدمة

حتى في القدم ومنذ العهد الفرعوني يقول المثل يسعد نفسه ويسعد الناس من لديه أدب جم وخلق جميل وذوق سليم وصوت هادئ، فإن للأخلاق عموماً، وفي الإسلام، وعند رسول الله ﷺ مكانةً عاليةً، وشأنٌ عظيمٌ، ومنزلةٌ رفيعةٌ، فالأخلاق أحد الركائز والأصول الأربعة التي يقوم عليها هذا الدين؛ فهو يقوم على الإيمان، العبادات والمعاملات والأخلاق، ولهذا دعا الله -تعالى- عباده المسلمين إلى التحلي بالأخلاق، فالدعوة إلى الله عز وجل وتوحيده وإخلاص العمل له تتطلب من العبد أن يكون ذا خُلُقٍ حَسَنٍ، كما أَنَّ الفطرة السليمة تدعو صاحبها إلى التحلي بالأخلاق الحسنة، وذمَّ الأخلاق السيئة، وقد بيَّن الله تعالى هذه المكانة في العديد من الآيات الصريحة في كتابه العزيز، فضلاً عن العديد من الأحاديث النبوية الصحيحة التي أشارت إلى فضل ومكانة وقيمة الأخلاق ودورها في بناء المجتمع وغرس القيم بين أفراده، ومن ذلك ما جاء في قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤)، أما من قول رسول الله ﷺ فقد ورد عن الصحابي الجليل أبي الدرداء - رضي الله عنه - أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ) (صحيح الترمذي)، وفي هذا الفصل سيتم بيان أحد أبرز الأخلاق التي دعا لها الإسلام وحثَّ عليها، حيث سيبحث موضوع التواضع وحسن الخلق في الإسلام من حيث دعوة نبي الله له، وآثاره وبعض الأمور الأخرى المتعلقة به فمبدأ الأخلاق هو التفكير الجيد. وهناك أشكال الإحسان والأخلاق في الإسلام ولكن من أهم الأخلاق الإسلامية: بر الوالدين، وصلة الرَّحِم، وإفشاء السَّلام، وبشاشة الوجه، والإحسان للجيران،



وطيب الكلام , وإطعام الطعام , والإحسان لأهل البيت , ومعاشرة الزوجة بالإكرام والاحترام , وصدق الحديث , وأداء الأمانة , ونظافة الجسم والمنزل , وغيرها من الأخلاق الحميدة في الإسلام.

وكما ذكر المصطفى ﷺ في عدة أحاديث فضل ذوي الأخلاق الحسنة في الدنيا والآخرة وهو عليه الصلاة والسلام مثال أعلى للأخلاق الفاضلة فقد أثنى عليه المولى عز وجل وقال وإنك لعلی خلق عظیم وهذا ما ميز المصطفى ﷺ عن سائر خلق الله فلا يوازي صبره واحسانه لجميع الناس بل وتعدى الى الحيوانات بل والى الجماد فقد سمى كل شيء حتى عصاه ودابته وسمة تعامله مع الكل الاحسان فهو أكبر المحسنين طيب النفس والمعشر صلى الله عليه وآله وأمه وسلم، وهنا سنشرح ونبين مدى حب المصطفى ﷺ لذوي الأخلاق الحسنة:

أولاً: حسن الخلق

يقول المثل الصيني أخلاق الانسان فيها مقياس الانسان وقد أولى الإسلام عنايةً كبيرةً للأخلاق وحسنها , وظهر ذلك جلياً في كل ما كان يقوم به رسول الله عليه الصلاة والسلام، وكل ما كان يُعرف به ويُشهد له من أخلاق , فقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز واصفاً نبيه: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (سورة القلم: ٤).

فقد كان حُسن الخلق من أعظم الصفات التي اتّصف بها نبيّ الإسلام ﷺ، كما اتّصف بمكارم الأخلاق , ومحاسن الصفات , وباعتباره قدوةً لكلّ مُسلم ومسلمة فإنّ على كلّ مسلم ومسلمة مجاهدة النفس للتّحلي بأحسن الأخلاق وأفضلها , وعلى كلّ مؤمن عاقل أن يطمح لأن يكون عند الله مرضياً , وعند الناس مقبولاً , وهذه الأمنية لا تُحقّق إلا بحُسن الخلق , لما



يتميّز به من خصائص وفضائل تميّز أصحابها فقد قال أرسطو أعدي عدوك سيئات أخلاقك.

وباختصار هناك محاسن كثيرة لحسن الخلق منها:

- السبب في دخول كثير من الناس إلى الجنة: أخبر رسول الله عليه الصلاة والسلام أنّ أكثر ما يدخل الناس الجنة يوم القيامة حسن الخلق، فيُفلح من استقام خلقه في الدنيا والآخرة، والدليل على ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال (تقوى الله وحسن الخلق) (صحيح ابن حبان).

- أكثر الأعمال ثقلًا في الميزان: فقد ذكر عن النبي ﷺ أنّه قال: (مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ) (صحيح الترمذي)، فحُسنُ الخلق قد يحدّد مصير العبد في الحياة الآخرة، فينبغي على المسلم الحرص على تمام الخلق فلعلّ فيه نجاته.

- محبة الله للعبد الخلق: أخبرنا نبي الله أنّ حُسن الخلق سببٌ من أسباب محبة الله سبحانه وتعالى للعبد إذا أخلص النيّة لوجهه الكريم، فقد قال رسول الله عندما سأله الصحابة عن أحبّ عباد الله إلى الله فكان جوابه: (أحسنهم خلقًا) (رواه الحاكم).

- يعادل حُسن الخلق درجة الصائم القائم: قال عليه الصلاة والسلام (إنّ المؤمنَ ليدرك بحُسنِ خلقه درجةَ الصَّائمِ القائمِ) (رواه صحيح أبي داود)، وفي هذا الحديث دليلٌ واضحٌ على رفعة ذوي الخلق وتميّزهم عن باقي الناس بدرجات تُعادل درجات الصيام والقيام معاً، كما ضمن الرسول عليه الصلاة والسلام بيتاً في الجنة لأفضل الناس وأحسنهم خلقاً.



- سبب دخول الجنة حيث قال المصطفى (ﷺ) : (أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ) (صححه النووي وحسنه الألباني). ويقول هيموز الأخلاق قوة ونفوذ تكسب الاصدقاء وتوجه رأس المال وتجلب الحماية والتأييد وتفتح طريقاً سهلاً للثروة والشرف والسعادة.

ثانياً : فضائل حسن الخلق

يقول الامام على مكارم الأخلاق عشرة: السخاء، الحياء، أداء الأمانة، التواضع، الغيرة، الشجاعة، الحلم، الصبر والشكر، ولحسن الخلق فضائل عظيمة، في الدنيا والآخرة، على الأفراد والمجتمعات بشيء من التفضيل. فمن تلك الفضائل ما يلي:

١ - أنه امثال لأمر الله عز وجل: قال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] فلقد جمع - سبحانه وتعالى - مكارم الأخلاق في تلك الآية، وأمر بالأخذ بها، والتحلي بها ورد فيها.

٢ - أنه طاعة للرسول: فلقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه أبو ذر ومعاذ - رضي الله عنها -: «وخالق الناس بخلق حسن» (رواه الترمذي).

٣ - رفعة الدرجات: قال ﷺ: «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم» (صحيح أبي داود).

٤ - حسن الخلق اقتداء بالمصطفى: فلقد كان عليه الصلاة والسلام أكرم البشرية أخلاقاً، وأزكاهم نفساً. والله عز وجل يقول: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].



٥- أنه أعظم ما يدخل الجنة: قال عليه الصلاة والسلام: «وأكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله، وحسن الخلق» (صحيح ابن حبان).

٦- كسب القلوب: فحسن الخلق من أعظم الأسباب الداعية لكسب القلوب؛ فهو يحب صاحبه للبعد والقريب، وبه ينقلب العدو صديقاً، ويصبح البغيض حبيباً، ويصير البعيد قريباً، وبحسن الخلق يتقرب المرء للناس، ويتمكن من إرضائهم على اختلاف مشاربهم، وطبقاتهم؛ فكل من جالس حسن الخلق أحبه، ورغب في مجلسه.

٧- تيسير الأمور: فحسن الخلق سبب لذلك؛ لأنه من تقوى الله، والله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

٨- القرب من مجلس المصطفى يوم القيامة: قال عليه الصلاة والسلام: «إن أحبكم إليّ وأقربكم مني في الآخرة محاسنكم أخلاقاً» (رجالة رجال الصحيح).

٩- محبة الله عز وجل: فالله عز وجل يحب مكارم الأخلاق، ويجب أهلها؛ بل إن أحب العباد إلى الله أحسنهم أخلاقاً. فعن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ، فكأنما على رؤوسنا الطير، ما يتكلم منا متكلم، إذ جاءه أناس فقالوا: من أحب عباد الله إلى الله؟ قال: «أحسنهم أخلاقاً» (رواه الحاكم).

١٠- زيادة الأعمار وعمارة الديار: قال عليه الصلاة والسلام: «أنه من أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة وصلة الرحم وحسن الخلق، وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار» (السلسلة الصحيحة)

١١- حسن الخلق إحسان قد يزيد على الإحسان المالي: لأن المال قد يصحبه منّة وتعالٍ على الخلق، ولأن صاحب المال قد لا يسع الناس بماله. أما حسن الخلق



فإحسان لا يصحبه مَنَّة، ولا تعالٍ على الخلق، وصاحب الخلق الحسن يسع الناس بخلقه. وإذا كان المال يدخل السرور على المساكين والفقراء ونحوهم فكذلك حسن الخلق يدخل السرور والبهجة على النفوس مهما اختلفت مشاربها. إضافة إلى ذلك فبذل المال داخل في مكارم الأخلاق.

١٢ - التوصل للحق: فبحسن الخلق يتوصل المناظر أو المخاصم من إبداء حجته، وفهم حجة صاحبه، ويسترشد بذلك إلى الصواب قولاً وعملاً. وكما أنه سبب لحصول ذلك في نفس المناظر أو المخاصم فهو كذلك من أقوى الدواعي لحصوله لمن ناظره أو خاصمه. وبذلك يتمكن الطرفان من الوصول للحق، ويسلم كل واحد منهما من اللجاج، والجدال، والمرء، والتعصب.

١٣ - زيادة العلم: فبالخلق الحسن يصفو القلب، وتطمئن النفس، وذلك مدعاة لأن يتمكن المرء من معرفة العلوم التي يسعى لإدراكها، والمعارف التي يروم تحصيلها. ثم إن حسن الخلق يدعو صاحبه للتواضع، والتأدب في مجالس العلم، وهذا مما يزيد العلم، ويقوي الإدراك.

١٤ - حصول الخيرية: فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله ﷺ، فاحشاً ولا متفحشاً، وكان يقول: «خياركم أحاسنكم أخلاقاً» (رواه البخاري).

١٥ - السلامة من مضار الطيش والعجلة: فبالخلق الحسن يسلم المرء من مضار العجلة والطيش، برزاقته، وصبره، ونظره لكل ما يمكن من الاحتمالات.

١٦ - الوفاء بالحقوق الواجبة والمستحبة: فبالخلق الحسن يتمكن المرء من الوفاء بتلك الحقوق للأهل، والأولاد، والأقارب، والأصحاب، والجيران،



والمعاملين، وسائر من بينه وبينهم مخالطة أو حق؛ فكم من حقوق أضيعت من جراء سوء الخلق.

١٧- الإنصاف: فبحسن الخلق تنال فضيلة الإنصاف، وأكرم بها من فضيلة، فصاحب الخلق الحسن يأبى عليه خلقه الحسن من التعصب المقيت، والانتصار للنفس؛ لأن ذلك يحمل على الاعتساف وقلة الانصاف لأن مبدأ الأخلاق هو التفكير الجيد كما وصفها المفكر باسكال.

١٨- راحة البال وطيب العيش: فصاحب الخلق الحسن في راحة حاضرة، ونعيم عاجل؛ فإن قلبه مطمئن، ونفسه ساكنة، وذلك مادة الراحة العاجلة، وطيب العيش. كما أن صاحب الخلق السيئ في شقاء حاضر، وعذاب مستمر، ونزاع ظاهري وباطني مع نفسه، وأولاده، ومخالطيه، مما يشوش عليه حياته، ويكدر عليه أوقاته، مع ما يترتب على ذلك فوات الآثار الطيبة، والتعرض لضدها فمن حسن خلقه طابت معيشته، ودامت سلامته، وتأكدت في الناس محبته، ومن ساء خلقه تكدرت معيشته، ودامت بغضته، ونفر الناس منه.

١٩- حصول الوثام والاتفاق التام في المجتمع: فإذا حسنت الأخلاق في مجتمع ما شاع الوثام والتراحم، وسادت الألفة والمودة في ذلك المجتمع. ذلك أن الامتزاج بمكارم الأخلاق يجبي إلى صاحبه عرفان ما له من الحقوق، وما عليه من الواجبات؛ فلا يخل حينئذ بواجب، ولا يدعي إلا بحق. وذلك يدعو بالضرورة إلى شدة الارتباط، وكمال الالتئام الذي يجعل أفراد الأمة عضواً واحداً للتعاون على البر والتقوى، والتعااضد على الأعمال التي تنتج لهم التقلب في عيشه راضية، وتحفظ لأعقابهم مستقبلاً حسناً.



٢٠- وبه يتمكن المرء من إصلاح ذات البين: فحسن الخلق يرضى به جميع الأطراف، وبذلك يستطيع أن يجمع القلوب المتنافرة، والآراء المشتتة وكما قال المثل الصيني الأخلاق أساس اصلاح المجتمع وإقامة الحكم الصالح وليس القوة أو القانون.

٢١- حسن الخلق يستر العيوب: فقد يتلى المرء بكثير من الآفات والعيوب الشخصية والخلقية من دمامة وبخل ونحوها، مما يجعله عرضة للذم، وعرضاً للسخرية من بعض الناس. ولكن ذلك لا يقصره عن مجد، ولا يقعد به عن سؤدد، وذلك إذا رزق بخلق حسن، وعقل راجح. فحسن الخلق يغطي غيره من القبايح، كما أن سوء الخلق يقبح غيره من المحاسن.

ثالثاً: تواضع المصطفى وحبه للمتواضعين

يقول بنجامين فرانكلن: التواضع لمن هم أعلى شأنًا واجب وملزم واحترامك لمن هم دونك يمثل الاحترام الذي تجده منهم هو نبل، ويُعدّ التواضع في الإسلام من أبرز الأخلاق والصفات المحمودة التي ينبغي على العباد التحلّي بها لنيل رضا الله تعالى، فالتواضع عند المصطفى ﷺ كان من سماته الرئيسية بل وميزة المولى عز وجل وقال فيه (وإنك لعلّى خلق عظيم) (القلم: ٤)، ومن صفات المصطفى ﷺ، ومن صفات عباد الله الصالحين، حيث قال الله -تعالى- في القرآن الكريم: وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (الفرقان : ٦٣)، فمن صفات عباد الله الصالحين أن تكون مشيتهم على الأرض مشيةً هيئةً سهلةً بلا تكلف، ولا خِيلاء، وأن يكون تواضعه مع الله تعالى، ومع الناس، وقد حثّ النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين وبين حبه لهم وفضلهم على التواضع في كثيرٍ من الأحاديث النبوية، حيث قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ



أَوْحَى إِلَيَّ: أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ (رواه مسلم)، وحتى يكون العبد متّصفاً بخُلُقِ التواضع في الإسلام لا بدّ أن يتوفّر فيه شرطين هما؛ الإخلاص، والقدرة، فلا بدّ للعبد أن يبتغي ويقصد في تواضعه إرضاء الله تعالى، ولا بدّ أن يكون ذا قدرةٍ كاملةٍ على فعل وترك ما يريد.

وقد حثّ المصطفى ﷺ ورغب في التواضع، ابتغاءً لمرضاة الله تعالى، فمن تواضع لله رفعه، وقد جاءت نصوصٌ كثيرةٌ في السُّنة النبوية تحث على التواضع في الإسلام، ومن تلك النصوص ما يأتي:

- ما رواه الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنّه قال: (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ) (رواه مسلم).

- ما رواه الصحابي الجليل حارثة بن وهب رضي الله عنه أنّه سمع النبي ﷺ يقول: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ ﷺ: كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: كُلُّ عُتْلٍ جَوَّازٍ مُسْتَكْبِرٍ) (رواه مسلم).

- فهذه الآيات تُلشّيفة والنصوص النبوية تدل على أهمية التواضع في الإسلام ومكانته الرفيعة وكما قال أحمد شوقي وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت، فإن هم ذهب أخلاقهم ذهبوا.



الفصل الثاني عشر: حب أهل الصدقات







المقدمة

لقد حث المصطفى ﷺ على الصدقة وجبر الخواطر في أحاديث كثيرة وذكر أن من فضل أهل الصدقات وحبهم لمنزلتهم العظيمة في الاسلام استكمال محبة المولى عز وجل الذي سمى نفسه المقرض ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة ٢٤٥)، وكان المصطفى ﷺ أكبر المتصدقين في الاسلام فقد كان الداعم الأكبر في رعاية الفقراء ونصرتهم واستضافة الوفود وإكرام الضيوف وشراء أرض المسجد النبوي وتجهيز المسلمين للغزوات والسرايا وغيرها من صدقات وكان يحرص على اخفاء الصدقات والباحث فيها يجد أن هناك أحياناً نقصاً كبير في المال تبرع فيه أحدهم وغطى هذا النقص. فمن يكون؟ طبعي إنه المصطفى ﷺ سيد الخلق صاحب اليد الطولى في الانفاق والعطاء، فبعد أن كان بهال خديجة أغنى الناس في مكة المكرمة وجدناه يفتقر الى القوت اليومي ولا يطبخ في بيوته الشهر والشهرين والثلاث فصلي اللهم عليه وعلى آله وأمته وسلم عدد ما أنفق من أول الزمان الى آخره.

الصدقة من أعظم شعائر الدين، وأكبر براهين الإيمان، فقد صحَّ عند الإمام مسلم عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: والصدقة برهان. والمعنى كما جاء عند بعض أهل العلم يُشير إلى أن بذل الصدقات والحرص عليها دليل قاطع وبرهان حاسم على إيمان صاحبها ودينه ومحبه لله تعالى وتقول الحكمة صانع المعروف لا يقع وإن وقع وجد متكئاً.



كما أن فيوكيف لا يكون من أحباب المصطفى ﷺ الصدقة تنمية شريفة مباركة وزيادة للأموال، وتنمية للأجر والثواب الذي يحصل عليه المتصدق عند الله، وفيها سدٌ لحاجات الفقراء والمحتاجين، وسبيل لجلب السعادة إلى نفوسهم، ورسم الابتسامة على شفاههم، وهي وسيلة لتحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع الواحد، وطريقٌ إلى انتشار الرحمة والتآخي والمودة بين الناس، كما أنها تدفع -بإذن الله تعالى- النقم والمكاره والأسقام عن صاحبها ويقول المثل الفرنسي يزول كل شيء إلا الخير الذي تفعله.

وقد أخبر النبي ﷺ أن من حرص على الإكثار من الصدقات دُعي يوم القيامة ليكون من الداخلين إلى الجنة من باب الصدقة، وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله»، وذكر من هؤلاء السبعة: «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شأله ما صنعت يمينه»

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لو كان لي مثل أحد ذهباً ما يسرني أن لا يمر علي ثلاث، وعندي منه دينار إلا ديناراً أرضه لدين علي) (رواه البخاري)، ولما سئل ﷺ: «أي الصدقة أعظم؟» قال: (أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر، وتأمل البقاء، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا، ألا وقد كان لفلان) (رواه مسلم).

أولاً: حث وتقدير المصطفى ﷺ لأهل الصدقات.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «انتهيت إلى النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة، فلما رأيته قال: (هم الأخسرون ورب الكعبة) قال: «فجئت حتى جلست فلم ألتق أن قمتم». فقلت: «يا رسول الله، فذاك أبي وأمي من هم؟» قال: (هم الأكثرون



أموالاً إلا من قال هكذا، وهكذا، من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، وقليل ما هم) (رواه البخاري) وحقاً ما قاله ابن المقفع أغنى الناس أكثرهم احساناً.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مُستَقْبَلَةَ المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب»، قال أنس: «فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: «إن الله يقول في كتابه: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبُّونَ﴾»، وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله، فضّعها يا رسول الله حيث شئت»، قال رسول الله ﷺ: (بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، قد سمعت ما قلت فيها، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين، فقسّمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه) (صحيح على شرط الشيخين).

قال ابن القيم رحمه الله: وكان العطاء والصدقة وأهلها أحب شيء إليه ﷺ وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسلة، وكان إذا عرض له محتاج آثره على نفسه، تارة بطعامه، وتارة بلباسه، وكان ﷺ يأمر بالصدقة ويحث عليها ويدعو إليها بحاله وقوله.

ولذلك كان ﷺ أشرح الخلق صدرًا، وأطيبهم نفسًا، وأنعمهم قلبًا، فإن للصدقة وفعل المعروف تأثيرًا عجيبًا في شرح الصدر.

ثانيًا: فوائد الصدقة كما بينها المصطفى.

ومن الأحاديث الدالة على فضل الصدقة وأهلها قوله ﷺ: (ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم،



فينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، فينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة) [في الصحيحين]. والمتأمل للنصوص التي جاءت أمرة بالصدقة مرغبة فيها يدرك ما للصدقة من الفضل الذي قد لا يصل إلى مثله غيرها من الأعمال، حتى قال عمر رضي الله عنه: «ذكر لي أن الأعمال تباهي، فتقول الصدقة: أنا أفضلكم» [صحيح الترغيب]، ومن فوائد الصدقة:

١ - أنه لا يبقى لصاحب المال من ماله إلا ما تصدق به كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَقْصِبْكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٢]. ولما سأل النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها عن الشاة التي ذبحوها ما بقي منها: قالت: ما بقي منها إلا كنفها. قال: (بقي كلها غير كنفها) [رواه مسلم].

٢ - أن الله يضاعف للمتصدق أجره كما في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة الحديد: ١٨]. وقوله سبحانه: مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [سورة البقرة: ٢٤٥].

٣ - أن في الصدقة دواء للأمراض البدنية كما في قوله ﷺ: «داووا مرضاكم بالصدقة». يقول ابن شقيق: «سمعت ابن المبارك وسأله رجل: عن قرحة خرجت في ركبته منذ سبع سنين، وقد عالجها بأنواع العلاج، وسأل الأطباء فلم ينتفع به، فقال: اذهب فأحفر بئراً في مكان حاجة إلى الماء، فإني أرجو أن ينبع هناك عين ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل فبرأ». [صحيح الترغيب].

٤ - إن فيها دواء للأمراض القلبية كما في قوله ﷺ لمن شكى إليه قسوة قلبه: (إذا أردت تليين قلبك فأطعم المسكين، وامسح على رأس اليتيم) [رواه أحمد].



٥- أن الله يدفع بالصدقة أنواعاً من البلاء كما في وصية يحيى عليه السلام لبني إسرائيل: «وأمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه فقال: أنا أفندي منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم» [صحيح الجامع]. فالصدقة لها تأثير عجيب في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجر أو ظالم بل من كافر فإن الله تعالى يدفع بها أنواعاً من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم وأهل الأرض مقرون به لأنهم قد جربوه.

٦- أن العبد إنما يصل حقيقة البر بالصدقة كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَن نَّالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [سورة آل عمران: ٩٢].

٧- أن المنفق يدعو له الملك كل يوم بخلاف المسك وفي ذلك يقول ﷺ: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً) [رواه مسلم والبخاري].

٨- أن صاحب الصدقة يبارك له في ماله كما أخبر النبي ﷺ عن ذلك بقوله: (ما نقصت صدقة من مال) [رواه مسلم].

٩- أنها تطفىء غضب الله سبحانه وتعالى كما في قوله ﷺ: (إن صدقة السر تطفىء غضب الرب تبارك وتعالى) [صحيح الترغيب]، أنها تمحو الخطيئة، وتذهب نارها كما في قوله ﷺ: (والصدقة تطفىء الخطيئة كما تطفىء الماء النار) [صحيح الترغيب]، كما أنها وقاية من النار كما في قوله ﷺ: (فاتقوا النار، ولو بشق تمر) ثم اعرض وشاح حتى رأينا أنه يراها ثم قال: (اتقوا النار ولو بشق تمر فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة) (صحيح ابن حبان).

١٠- أن المتصدق في ظل صدقته يوم القيامة كما في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كل امرئ في ظل صدقته، حتى يقضى



بين الناس). قال يزيد: «فكان أبو مرثد لا يخطئه يوم إلا تصدق فيه بشيء ولو كعكة أو بصلة»، وقد ذكر النبي ﷺ أن من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «رجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شاله ما تنفق يمينه» [رواه مسلم والبخاري].

١١ - أن صاحب الصدقة يدعى من باب خاص من أبواب الجنة يقال له باب الصدقة كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله، نودي في الجنة يا عبد الله، هذا خير: فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان». قال أبو بكر: يا رسول الله، ما على من دُعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها: قال: (نعم وأرجو أن تكون منهم) [رواه مسلم والبخاري].

ثالثاً: أهل الصدقات ذوو منزلة خاصة عند المصطفى

ان لأهل الصدقات منزلة خاصة عند الله عز وجل ورسوله كما بيّنتها الآيات الكريمة والمصطفى ﷺ في أحاديث ومواقف كثيرة بل وحتى في جميع الشرائع والأديان كان أهل الصدقات أصحاب فضل فإن أريج الزهور يلتصق دائماً باليد التي تقدمها (مثل صيني) وسنوجزها بالآتي:-

١ - أن العبد موفٍ بالعهد الذي بينه وبين الله وتماماً للصفقة التي عقدها معه متى ما بذل نفسه وماله في سبيل الله يشير إلى ذلك قوله جل وعلا: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا



بِيعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [سورة التوبة: ١١١].

٢- أَنَّ فِي الصَّدَقَةِ انْشِرَاحَ الصَّدْرِ، وَرَاحَةَ الْقَلْبِ وَطَمَأْنِينَتَهُ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ ضَرَبَ مِثْلَ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمِثْلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جَبْتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثَدْيَيْهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلَا يَنْفِقُ إِلَّا اتَّسَعَتْ أَوْ فَرَّتْ عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى يَخْفَى أَثَرُهُ، وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلَا يَرِيدُ أَنْ يَنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزَقَتْ كُلَّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا فَهُوَ يُوَسِّعُهَا وَلَا تَتَّسِعُ [رواه مسلم والبخاري]. «فَالْمُتَّصِدِقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْشَرَحَ لَهَا قَلْبُهُ، وَانْفَسَحَ بِهَا صَدْرُهُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ اتِّسَاعِ تِلْكَ الْجَبَةِ عَلَيْهِ، فَكُلَّمَا تَصَدَّقَ اتَّسَعَ وَانْفَسَحَ وَانْشَرَحَ، وَقَوِيَ فَرْحُهُ، وَعَظُمَ سُرُورُهُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الصَّدَقَةِ إِلَّا هَذِهِ الْفَائِدَةُ وَحَدَّثَهَا لَكَانَ الْعَبْدُ حَقِيقِيًّا بِالْاِسْتِكْثَارِ مِنْهَا وَالْمُبَادَرَةِ إِلَيْهَا وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: وَمَنْ يُؤَقِّ شَحًّا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾» [سورة الحشر: ٩].

٣- أَنَّ الْمُنْفِقَ إِذَا كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَهُوَ بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ عِنْدَ اللَّهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ، وَيَعْلَمُ اللَّهُ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ..» (صحيح الترمذي).

٤- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَعَلَ الْغِنَى مَعَ الْإِنْفَاقِ بِمَنْزِلَةِ الْقُرْآنِ مَعَ الْقِيَامِ بِهِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يَنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» (مسند أحمد)، فَكَيْفَ إِذَا وَفَّقَ اللَّهُ عَبْدَهُ إِلَى الْجَمْعِ بَيْنَ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ نَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ مِنْ فَضْلِهِ.

٥- الصَّدَقَةُ مَتَى مَا اجْتَمَعَتْ مَعَ الصِّيَامِ وَاتِّبَاعِ الْجَنَازَةِ وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ إِلَّا أَوْجِبَ ذَلِكَ لِصَاحِبِهِ الْجَنَّةَ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ:



«فمن تبع منكم اليوم جنازة؟». قال أبو بكر: أنا. قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟». قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعت في امرئ إلا دخل الجنة» [رواه مسلم].

٦- أَنَّ الصَّدَقَةَ دَلِيلٌ عَلَى صَدَقِ الْعَبْدِ وَإِيمَانِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: «وَالصَّدَقَةُ بَرَهَانٌ» [رواه مسلم] وكما قال جونسون الاحسان يغطي جميع الخطايا.

٧- أَنَّ الصَّدَقَةَ مَطْهَرَةٌ لِلْمَالِ، تَخْلُصُهُ مِنَ الدَّخَنِ الَّذِي يَصِيبُهُ مِنْ جَرَاءِ اللَّغْوِ، وَالْحَلْفِ، وَالْكَذْبِ، وَالْغَفْلَةِ فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُوصِي التَّجَارَ بِقَوْلِهِ: «يَا مَعْشَرَ التَّجَارِ، إِنَّ هَذَا الْبَيْعَ يَحْضُرُهُ اللَّغْوُ وَالْحَلْفُ فَشُوبُوهُ بِالصَّدَقَةِ» [صحيح الجامع]. فَصَلِّي اللَّهُمَّ عَلَى الْمُصْطَفَى وَعَلَى آلِهِ وَأَحْبَابِهِ وَأُمَّتِهِ قَدْرَ مَا هُوَ أَهْلُهُ وَأَنْتَ أَهْلُهُ.

الفصل الثالث عشر: حب المحسنين







المقدمة

من أكثر ما أكد عليه المصطفى ﷺ في حياته السباحة والاحسان في كل شيء حتى في الذبيحة، والاحسان لغة هو الإتقان، واصطلاحاً الإتيان بالمطلوب شرعاً على وجه حسن، وبذل المعروف لعباد الله من قول أو فعل أو مال أو جاه، والاحسان ضد الإساءة، وهو فعل ما هو حسن وجميل، وترك ما هو سيء وقبيح، وحقيقة الاحسان كما ذكرها المصطفى ﷺ: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، وأن تبذل ما تستطيعه من النفع والخير للبلاد والعباد، وقد أثنى المصطفى ﷺ على المحسنين حتى غير المسلمين منهم والوثنيين.

ليت مساعدة الناس واجب بقدر ما هي نعمة (زور واستر) يعدّ الاحسان صفةً من صفات العابدين المقربين، ويعرّف بأنه الإتقان، أمّا في الاصطلاح الشرعي، فهو: الإتيان بالمطلوب شرعاً على وجه حسن، وفي الاحسان بذل وعطاء، واعتراف بالفضل، وقيام بالواجب، فالمحسن يقدم الخير والنفع للآخرين، ولا يؤذي أحداً منهم، وإن آذوه، فلا يردّ ذلك الإيذاء؛ وإنّما يعفو ويصفح، ويقدم للآخرين دون انتظار شيء منهم، ويصلّهم إن قطعوه، فهو الغني بالله، لا بالناس، فلاّنه محسنٌ مع الله تعالى، وجد السهولة في الاحسان الناس، حيث قال الله تعالى: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)، والاحسان صفة اتصف بها الله تعالى؛ فهو صاحب الفضل والمِنَّة، على كل ما خلق في الكون، وكما أنعم على عباده بنعم لا تعدّ، ولا تحصى، وهو الذي يعفو عمّن أساء، ويغفر لمن أذنب، وهو الذي خلق الإنسان في أحسن صورة، وأحسن إليه منذ أن كان جنيناً في بطن أمّه، حتى صار شيخاً كبيراً، وليس ذلك فحسب؛ وإنّما أوصى الله الأبناء ببر آبائهم حين يكبروا، وأمر الله عباده بالاحسان؛ لأنّه





أحسن إليهم، حيث قال: (وَأَحْسَنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ)، مع شدة وضوح الفرق بين إحسان الخالق وإحسان المخلوق، كما أَنَّ الإحسان أرقى منازل العبودية، ولَبَّ الإيمان، وروح الإسلام، وهو شاملٌ لجميع الأقوال والأفعال، فقد جاء الأمر به عاماً مطلقاً ولذلك أصبح المحسنين أحباب الله عز وجل ورسوله ﷺ.

مقام الإحسان مقام رفيع وهو أعلى من العدل لأن بالعدل العطاء والأخذ بما عليه وله أما الاحسان فهو غاية مراد الطالبين، ومنتهى قصد السالكين؛ فالإحسان خلق جميل؛ يدل على النبل، واعتراف بالفضل، وعرفان للجميل، وقيام بالواجب، واحترام للمنع. ينبى عن الصفاء، وينطق بالوفاء، ويترجم عن السخاء؛ بالإحسان يُشترى الحب، ويُخطب الود، وتكسب النفوس، ويُهيمن على القلوب، وتستعبد الأفتدة. الإحسان عطاء بلا حدود، وبذل بلا تردد، وإنعام دونها من، وإكرام لا يلحقه أذى وهذا ما علمنا إياه المصطفى ﷺ في أحاديث ومواقف كثيرة، فالمحسن لا يؤذي أحداً، فإن آذاه أحد عفا وصبر وصفح وغفر، وإذا عامل الناس عاملهم بالفضل والإحسان، فيعطيههم وإن منعوه، ويصلهم وإن قطعوه، ويمنّ عليهم وإن حرّموه، وإنما كان كذلك لأنه كان بالله غنياً، وبه راضياً، ومنه قريباً، ولديه حبيباً، وقد رباه ﷺ العزيز العليم، وأوجد في قلبه سهولة الإحسان مع الناس

أولاً: الإحسان صفة الله لذلك أحب المصطفى أهلها

يقول ايسوب يساعد الله من يساعدون الناس، فهو سبحانه المحسن في خلقه، المحسن إلى مخلوقاته، بيده الخير كله، وله ينسب الفضل كله، وهو الذي خلق الخلق فأحسنه وجمله وأبدعه على غير مثال سابق؛ قال سبحانه وتعالى عن نفسه: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا



مَا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ [السجدة: ٦ - ٩]. وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٤﴾ [غافر: ٦٤]. وقال سبحانه: الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ انْزِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ [الملك: ٣، ٤]. وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ﴿١٤﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤]. وهو سبحانه المحسن المنعم على عباده؛ فقد أنعم سبحانه على العباد وأحسن إليهم بنعم لا تعد ولا تحصى، ومن أعظم أنواع الإحسان والبر أن يحسن سبحانه إلى من أساء، ويعفو عمن ظلم، ويغفر لمن أذنب، ويتوب على من تاب إليه، ويقبل عذر من اعتذر إليه. ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ [الشورى: ٢٥]، فأبى إحسان إلا إحسانه. خلق الإنسان في أحسن تقويم وصوره فأحسن صورته، وامتد إليه إحسانه وهو نطفة في ظلمات ثلاث، وعمه بإحسانه طفلاً، وأنبت نباتاً حسناً، ورباه بنعمه وأحسن مثواه، وأحسن إليه شاباً يافعاً وعاقلاً راشداً، وشيخاً مسنّاً، ووصى الإنسان بوالديه إحساناً، وأمره الله تعالى بالإحسان مع كل شيء وإلى كل شيء، وفي كل شيء، ورتب عليه عظيم الأجر، وبديع القدر، ووافر الإكرام.

وقد ندب الله المحسن الكريم عباده وعلى رأسهم سيدنا المصطفى ﷺ إلى هذه الشيم الفاضلة، والأفعال الحميدة، وهو أولى بها منهم وأحق، ودعاه ﷺ إلى الإحسان لأنه أحسن إليك، فقال سبحانه: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ



الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴿٧٧﴾
[القصص: ٧٧].

الإحسان من أفضل منازل العبودية؛ بل هو حقيقتها ولبها وروحها وأساسها، وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، يقول ابن القيم رحمه الله في كتابه مدارج السالكين: (منزلة الإحسان هي لب الإيثار وروحه وكماله).

فهو لب الإيثار، وروح الإسلام، وكمال الشريعة، وهو يدخل في سائر الأقوال والأفعال والأحوال، وأعظم درجات الإحسان: الإحسانُ مع الله جل وعلا، ثم إحسان المرء مع نفسه وأهله وسائر المخلوقات، حتى يشمل البهائم والعجائز، ففي صحيح مسلم عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: ثَنَّنَانِ حَفَظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحَدِّثْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِخْ ذَبِيحَتَهُ). فهل من المعقول لمن يحسن في الذبح ألا يحسن في الحياة؟.

ونحن مأمورين بالإحسان في معاملتنا لكل مخلوق؛ من إنسان أو حيوان بل وحتى في استهلاك الغذاء والزرع والطبيعة وكل شيء، وقد أمر الله تعالى بالإحسان أمراً مطلقاً عاماً، فقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥)، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠).

ثانياً: حب الرسول للإحسان والمحسنين

الإحسان إلى الناس بحسن معاملتهم، بالوفاء والصدق والعدل، بأمرهم بالمعروف إن تركوه، ونهيهم عن المنكر إن فعلوه، بإرشاد ضالهم، وتعليم جاهلهم،



والاعتراف بحقوقهم، بعدم ارتكاب ما يضرهم، أو فعل ما يؤذيهم. فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله؛ أيّ الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: (أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً. ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد - يعني مسجد المدينة - شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يتهيا له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام) (رواه الطبراني)، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) (رواه الترمذي).

ان أعظم شيء على المسلم أن يحسنه ويتقنه: عبادته لربه، كما دعى إلى ذلك حسين المصطفى ﷺ أن يأتي بها على الوجه المشروع دون زيادة ولا نقصان، وأن يتقن صلاته وزكاته وحجه وصيامه، وأن يحسن في كل قول أو عمل يتقرب به إلى ربه سبحانه، والطريق إلى ذلك هو ما بينه النبي ﷺ في جوابه عن سؤال جبريل عليه السلام، حين سأله: مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

وان تعبد الله كأنك تراه أن تحسن عملك الذي أمرك به ربك سبحانه، كأنك تراه وهو ينظر إليك؛ فتكون حاضر الذهن، فارغ النفس، مستجمع القلب، كما لو كنت تشاهد ربك سبحانه، فتستحضر عظمته، وجلاله، وكماله، وجماله. وتستحضر أنك في حاجة إلى رحمته ومغفرته ورضوانه، «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» أي فإن لم تستطع أن تبلغ بعبادتك إلى مستوى من يعبد الله كأنه يراه؛ فهذا نهج عبادة



المصطفى ﷺ فاعبد الله وأنت على يقين أنه مطلع عليك ناظر إليك، فاستحضر مراقبة ربك في كل ما تقول وتعمل، وتذكر دائماً أنه يراك، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].. ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

أخرج الطبراني والبيهقي عن زيد بن أسلم قال: مرَّ ابن عمر براعي غنم فقال: يا راعي الغنم! هل من جَزرة - أي من شاة تصلح للذبح -؟ قال الراعي: ليس ههنا ربُّها، فقال ابن عمر: تقول: أكلها الذئب! فرفع الراعي رأسه إلى السماء ثم قال: فأين الله؟! قال ابن عمر: فأنا والله أحق أن أقول أين الله؟ فاشترى ابن عمر الراعي واشترى الغنم فأعتقه وأعطاه الغنم، فهذه عنوان أخلاق أحباب محمد ﷺ الذي رباهم على الاحسان وحب أهله.

الإحسان في العبادة؛ وكما بينها رسول الله ﷺ، أن تكون خالصة لوجه الله، وأن تكون تامة كاملة بأركانها وواجباتها وسننها ومستحباتها، أن تكون في أوقاتها، وأن تكون عبادة تطهر بها القلب وتزكي بها النفس، وتغير بها السلوك وتؤدي بها الأخلاق، وقال عن الصدقة والزكاة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. وقال نبينا ﷺ عن الصوم: «إِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٌ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي أَمْرُؤٌ صَائِمٌ...» (متفق عليه)، فللعبادة الصحيحة أثر على الأخلاق وأثر على السلوك وأثر على المعاملة، والعبادة لا تخضع للأهواء ولا للآراء ولا لشهوة النفس ونزواتها؛ بل هي ما شرعه الله وبينه رسول الله ﷺ.



في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّلَامَ، قَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ». فَرَجَعَ الرَّجُلُ فَصَلَّى كَمَا كَانَ صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَعَلَيْكَ السَّلَامُ». ثُمَّ قَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ». حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَحْسَنُ غَيْرَ هَذَا عَلَّمَنِي. قَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا».

وفي صحيح مسلم عَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٌ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يَأْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ». وهكذا باقي العبادات في وجوب إتقانها والإحسان فيها.

ثالثاً: حب المصطفى للمحسنين حب في القول والعمل

إن الخلق العظيم الذي أكرم به رب العالمين اذ قال (وإنك لعلی خلق عظیم)، وأمر به سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام، فما من قول أو عمل يقوم به المسلم إلا ويجب عليه أن يحسنه ويتقنه، سواء كان ذلك في العبادات والطاعات، أو في أمور الحياة لقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء».

إذ ما من أمر في حياة العباد إلا والله فيه حكم وشرع. قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. فالإحسان واجب في كل شيء؛



في الأقوال والأفعال والأخلاق، والمعاملات... والفساد منه في كل شيء. قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠) وسنين بعض الأمثلة في ذلك:

١ - الإحسان في القول:

فما أمر الله سبحانه بالإحسان فيه: القول، فما من كلام إلا وينبغي أن يكون بالاحسان طيبا حسنا مفيدا. قال سبحانه: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣] وقال عز وجل: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾. فواجب على المسلم أن يعود لسانه على القول الحسن، فيستعمله فيما ينفعه في دنياه وفي آخره. وأن يمسكه عن كل قول سيئ وقبيح فقد قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» (متفق عليه)

ومن القول الذي أمر الله سبحانه بالإحسان فيه: ردّ المسلم للتحية على إخوانه، فقد قال عز وجل: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦]. وأحسن التحية تحية الإسلام، وهي السلام، والإحسان فيها ردّها تامة كاملة مسموعة.

ومن القول الذي أمر الله سبحانه بالإحسان فيه: الدعوة والحوار والجدال، فقد قال سبحانه، ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥) وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (العنكبوت: ٤٦).



٢- الإحسان في العمل:

الذي لا يساعد أحداً عند الحاجة لن يساعد أبداً والذي لا يقدم نصيحة عند الضرورة لا يقدم نصيحة مطلقاً.

ومما أمر الله سبحانه بالإحسان فيه: العمل؛ سواء كان في أمور الدين أو في أمور الحياة. قال سبحانه: ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سبأ: ١١)، فإن الإسلام يدعو إلى إتقان العمل وزيادة الإنتاج، ويعد ذلك أمانة ومسؤولية، فليس المطلوب في الإسلام مجرد القيام بالعمل، بل لا بُدَّ من الإحسان والإجادة فيه وأدائه بمهارة وإحكام.

ذلك أن الإيمان يربي الضمائر، ويهذب الأفعال، ويغرس في قلب المسلم عقيدة الخوف من الله ومراقبته، فيعتقد أنه ما من عمل يقوم به إلا وهو محاسب عليه، أو مجزي به عند الله الذي لا يعزب عن علمه وقدرته وسلطانه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا يضيع عنده سبحانه عملٌ عاملٌ مهما قل أو كثر، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧)، ونبينا ﷺ يخبرنا أن الله عز وجل يحب من عباده أن يتقنوا أعمالهم ويحسنوها، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ». (رواه الطبراني والبيهقي).

٣- التعاون في أداء العمل وإنجازه

فالتعاون بين عموم المسلمين على البر والتقوى خلقٌ رفيع دعا إليه الإسلام ورغب فيه؛ حيث قال ربنا عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا



عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴿١﴾، ويقول نبينا ﷺ: «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ، مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» (رواه مسلم).

ومن صُورِ هذا التعاون: تعاونُ العاملين فيما بينهم في أداء العمل فيما يُحقِّقُ النفع والخير للعاملين، ويُفَعِّلُ أنظمةَ العمل وقوانينه، ويحقِّقُ الفائدة والتطوير لهذا العمل وخدمة الناس.

رابعاً: المصطفى والإحسان إلى الخلق

ومن أنواع الإحسان: الإحسان إلى العباد؛ بحسن الخلق، وصدق التعامل، وبذل النصيحة، وتفريج الكربة، وإعانة الضعيف، وإغاثة الملهوف والمحتاج، وإطعام الجائع، وإرشاد التائه، وتعليم الجاهل، والتيسير على المعسر، والإصلاح بين الناس... إلى غير ذلك من أخلاق الإسلام الرفيعة، وآدابه العظيمة التي علمنا المصطفى ﷺ.

فإنَّ من أجلِّ نعم الله تعالى على العبد كما بينها المصطفى ﷺ: أن يوفَّقَ مع القيام بحق الله تعالى إلى القيام بحقوق عباد الله، من الإحسان إليهم، والسعي في مصالحهم، وبذل المعروف لهم، فقد أنعم الله على أناس فاخصهم بقضاء حوائج عبادهم، والسعي في مصالحهم، وجعلهم مفاتيح للخير، مغاليق للشر. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله أقواماً يختصهم بالنعم لمنافع العباد، ويقرها فيهم ما بذلوا، فإذا منعوها نزعها منهم، فحولها إلى غيرهم». (السلسلة الصحيحة).

والإحسان إلى الوالدين ببرهما وطاعتها في المعروف، بإيصال الخير إليهما، وكف الأذى عنهما. بالدعاء والاستغفار لهما في حياتهما وبعد موتهما. والإحسان إليهما في نظرة العين، ونبرة الصوت وابتسامة الوجه وحفظ وصية الرب سبحانه



﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]، روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَبَايُكَ عَلَى الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ، أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ. قَالَ: «فَهَلْ مِنْكَ وَالِدٌ أَحَدٌ حَيٌّ؟». قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلَاهُمَا. قَالَ: «فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ؟». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا».

والإحسان إلى الأقارب، والأصحاب، إلى الجار والمحتاج، فقد قال سبحانه: **وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا** [النساء: ٣٦]، روى مسلم في صحيحه عن أبي شريح الخزازي رضي الله عنه أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لَيْسَ كُنْتُ».

والإحسان إلى الأقارب ببرّهم، وصلاتهم، ورحمتهم، والعطف عليهم، وفعل ما يحمد فعله معهم، وترك ما يسيء إليهم، والإحسان إلى الجار والأصحاب باحترامه وتوقيره، ببذل الخير له، وكف الأذى عنه، والإحسان إلى الخادم: بصون كرامته، واحترام شخصيته، وبإعطائه أجره قبل أن يجف عرقه، وعدم إلزامه ما لا يلزمه، وعدم تكليفه ما لا يطيق، والإحسان إلى اليتامى: بالمحافظة على أموالهم، وحماية حقوقهم، وتربيتهم وتأديبهم، والتبسم في وجوههم، والإنفاق عليهم، عن سهل بن سعد رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى. (رواه البخاري)، فهذا أجمل تقدير، رفقة المصطفى ﷺ فيا له من حب وتقدير.



أما الإحسان إلى الأرملة والمسكين والمحتاج وابن السبيل بسد جوعتهم، وستر عورتهم، والحث على إطعامهم، وعدم المساس بكرامتهم، ففي الصحيحين عن أبي هريرة، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمَ النَّهَارَ»، روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ..» (رواه مسلم).

خامساً: الوصول لدرجة الإحسان وفوائده

الإحسان خلق عظيم، وفوائده كثيرة، ونتائجه جليلة، فالإحسان طريق إلى رحمة الله؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦]، والإحسان طريق إلى محبة الله؛ قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وهو سبب في نيل العلم والفقه في الدين؛ فقد قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ [يوسف: ٢٢]، فأول المستفيدين من الإحسان هم المحسنون أنفسهم، إليهم يعود نفعه في العاجل والآجل. قال سبحانه: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧].

الإحسان سبب في إحسان الله تعالى إلى عبده؛ قال سبحانه: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ ﴿٦٠﴾ [الرحمن: ٦٠]. فمن أحسن عمله أحسن الله جزاءه. ومن أحسن إلى العباد أحسن إليه رب العباد، الإحسان سبب في صلاح الذرية، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ



كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ
وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ [الأنعام: ٨٤].

الإحسان طريق إلى عظيم الأجر وجزيل الثواب؛ قال سبحانه: ﴿بَلَى مَنْ
أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١١٢﴾ [البقرة: ١١٢]. وقال: ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١١٥﴾ [هود: ١١٥]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا
لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ ﴿٣٠﴾ [الكهف: ٣٠]، وإن الله مع المحسنين؛
قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ ﴿١٢٨﴾
[النحل: ١٢٨].

كما أن الإحسان سبيل إلى زيادة الفضل والخير والإكرام من الرحيم الرحمان؛
قال سبحانه: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وان الإحسان طريق إلى رضا الرحمان؛ قال سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ
الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، الإحسان طريق إلى الجنة؛ قال سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ
أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. وقال عز وجل: ﴿فَأَثْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا
قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ
﴾ ﴿٨٥﴾ [المائدة: ٨٥].

وأخيراً من أراد أن يصل إلى درجة الإحسان، التي تحقق حبَّ الله تعالى، فعليه
المبادرة إلى القيام بأعمال ورد ذكرها في القرآن الكريم، وكلما بالغ العبد في الحرص
على تلك الأعمال، والإكثار منها، كان ذلك من الأفضل له، وفيما يأتي بيان لتلك
الأعمال بأكثر تفصيلاً:



١ - متابعة سنة المصطفى

وهو ما وضعه المصطفى (ﷺ) من أساس في حياته ورسالته فأكد عليها في أقواله وأفعاله كما بيناه سابقاً، فاللهم اجعلنا من المحسنين، واكتب لنا أجر المحسنين، وجازنا بجزاء المحسنين.

٢ - **التقوى:** والمداومة عليها تؤدي بالعبد إلى وصوله لمرتبة الإحسان، حيث قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ٩٣)، والمقصود بالتقوى في الآية العمل على الحذر من غضب الله تعالى، وعقابه، وذلك بالحرص على العمل الصالح، الذي يعدّ حاجزاً بين العبد والنار، فكما يتخذ الإنسان الملابس وقايةً له من البرد، فالعمل الصالح، وطاعة الله، واجتناب نواهيه، تقيه من النار.

٣ - **كظم الغيظ والعفو:** وذلك يتطلب مجاهدةً للنفس، وليس ذلك من اليسير عليها، ولما كان كذلك، فقد وصل بصاحبه إلى حبّ الله له، حيث قال الله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤)، ويتمثل العفو والصفح؛ في عدم الإساءة لمن يُقدم على الإساءة؛ والإحسان أعلى منزلةً من العدل؛ لأنّ العدل إعطاء الإنسان ما عليه، وأخذ ما له، أمّا الإحسان فهو تقديم الإنسان أكثر ممّا عليه، وأخذ أقلّ ممّا له، ولذلك فقد كان ثواب المحسنين أعلى درجةً.

٤ - **حال المكاشفة:** وهي المرتبة الأعلى من مراتب الإحسان، وهو المعنى المذكور في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أن تعبد الله كأنك تراه)، وهي أعلى مراتب



الإخلاص لله تعالى، فلا يرى العبد في ذلك الكون سوى الله عز وجل، فيفتح الله عليه من الفتوح، ويشغله بها، فلا يفرغ لأن ينشغل بغيرها، وقد وصل إلى تلك المرتبة سيدنا المصطفى ﷺ والأنبياء، والصالحين، والصحابة، والتابعين بإحسان، ومن ذلك ما كان يحصل مع رسول الله ﷺ، فيطلعه الله على الغيب، فيصفه النبي لمن حوله، كأنه عياناً أمامه، كما وصف بيت المقدس للمشركين، في صبيحة ليلة الإسراء والمعراج.

٥- حال المراقبة: وهي المذكورة في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)، وتلك المرتبة من الإخلاص لا تأتي دونها أي مرتبة، فإن تجاوزها العبد في أعماله، وفقد مراقبة الله له؛ فسد عمله، وهي الحالة الوسطى بين الرياء والإخلاص، فالإخلاص واجب على المسلم، في كل عمل يقوم به، وقد خشي رسول الله على المسلمين من الوقوع في الرياء، فكان يقول: (إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ، فَسُئِلَ عَنْهُ، فَقَالَ: الرِّيَاءُ يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمَرَائِنِ: اذْهَبُوا إِلَى مَا كُنتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عَنْدَهُمْ مِنْ جَزَاءٍ) (الامام أحمد).

٦- الإنفاق: وهو بذل المال في سبيل الله تعالى، ودليل ذلك قول الله سبحانه: (وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)، والإنفاق الذي يطلبه الله -تعالى- من عباده، هو الإنفاق المعتدل المتوسط، ففي الإنفاق طاعة لله تعالى، وتدريب للنفس، وتزكية لها، وفيه مساندة ومساعدة للناس وبالتالي الاحسان في هذه الطاعة له أثر بالغ كما وضحه المصطفى ﷺ.



الفصل الرابع عشر: حب أهل العلم







المقدمة

ان منزلة أهل العلم كبيرة في الاسلام كما وضعها وسنها سيدنا المصطفى ﷺ لذلك أحبهم حباً كبيراً وكما ذكر بالأثر أن عالم واحد خير من ألف عابد وفي كل مراحل طلب العلم أجر وصدقة فحتى المشي طلباً للعلم له أجر عظيم ناهيك عن مجالس طلب العلم والصبر عليها والقراءة والبحث وكل ما ينفق على طلب العلم له مكانة جليلة عند المصطفى ﷺ وحب كبير فهو الرسول المعلم وكما قال المولى عز وجل عنه (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الجمعة: ٢) وكما وصف بالأثر معلم البشرية.

قد عرف عن النبي عليه الصلاة والسلام في حياته الخاصة والعامة أنه كان قليل الكلام معرضاً عن اللغو لا يقول إلا الحق وإن قاله في مزاح، فمن ثم لا عجب أن يخلو كلامه من الحشو والزيادة، فحتى تكرار بعض الكلمات كما جاء في بعض المعاهدات ولقاءات الوفود فذلك أسلوب المعاهدات الواجب بروتوكولياً، لأن تكرار النص يمنع التأويل عند اختلافه فهو أيضاً سمة من سمات الإبلاغ، وجعل المسجد النبوي مركزاً للتعليم، ثقافي وملتقى فكري بحلقات ذكر وعلم وقرآن وغيرها كما جعل فيها مطببه (ممرضه) تعالج وتداوي اهل المدينة في خيمة داخل المسجد، وأول مطببة الصحابية رفيدة الاسلامي، وعلمت بدورها مجموعة من الصحابيات علوم التطيب ولا زال المصطفى ﷺ يعلمها ويعلم المسلمين الطب الاسلامي والجرعات .





هناك نصوص في السنة كثيرة، تدل على كونه ﷺ سيد المعلمين معلماً يهدي للحق والخير واضعاً أهمية المعلم في اطاره الصحيح، وهذه النصوص تدل فيما تدل عليه على فضل ومكانة المعلم، فمن ذلك: حديث عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ قال لها: (إن الله لم يبعثني معتاً، ولا متعتاً، ولكن بعثني معلماً، ميسراً) (رواه مسلم)، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم من بعض حجره، فدخل المسجد، فإذا هو بحلقتين إحداهما يقرأون القرآن ويدعون الله والأخرى يتعلمون ويعلمون. فقال النبي ﷺ: (كل على خير، هؤلاء يقرأون القرآن ويدعون الله، فإن شاء أعطاهم، وإن شاء منعهم، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون، وإنما بعثت معلماً فجلس معهم) (رواه ابن ماجة).

وفي جمال ولطف تعليمه فعن معاوية بن الحكم السلمي -رضي الله عنه- قال بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم فقلت: واثكل أمياه! ما شأنكم تنظرون إلي؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني سكت، فأما صلى رسول ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني، ولا ضربني، ولا شتمني، قال: (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير، وقراءة القرآن) (رواه مسلم)، قال النووي معلقاً على هذا الحديث: (فيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل، ورأفته بأمته وشفقته عليهم، وفيه التخلق بخلقه في الرفق بالجاهل، وحسن تعليمه واللفظ به، وتقريب الصواب إلى فهمه) (شرح النووي على صحيح مسلم) «فأي معنى للحياة إذا لم ننسى ونغفر» (فولر) «ولو لم اكن ملكاً كنت معلماً» (الملك فيصل).



أولاً: المعلم الأول وحبّه لأهل العلم

«الآمال الكبار تصنع الرجال الكبار» (درايدن) ولصدق هذه الدلالة ترى أن السمة الغالبة على أسلوب المعلم ﷺ في كلامه المحفوظ هي أولاً سمة الطموح العالي بل الأعلى لأنها الدعوة الربانية وثانياً الإبلاغ بأوضح الكلمات كما وصف بأني أوتيت جوامع الكلم، وكما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسر دكم هذا) (رواه البخاري). فالمصطفى ﷺ العربي القرشي الناشئ في بني سعد المعلم عارف حق المعرفة بلهجات القبائل بل ولهجاتها قبيلة نائية في أطراف الجزيرة، ولم يكن في كلامه أي غريب يحمله السامع، وسر ذلك أنه يريد أن يصل إلى سامعه، ولا يريد أن يقيم بينه وبين السامع حاجزاً من اللفظ الغريب أو المعنى الغريب، ومن ذلك ما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه، وأنه كان يبغض التكلف والاعتزاز بالبلاغة كما قال: (إن الله تعالى يبغض الفاحش البذيء) (صحيح الترمذي). «لا تحاسبوا الناس وزناً بوزن، وعظموا أقداركم بالتعامل عن دنى الأمور» (مثل فارسي).

جاءت هند بنت عتبة (زوجة أبي سفيان) بعد أن أسلمت رضي الله عنهما إلى رسول الله ﷺ، وقالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذ منه (من ماله) وهو لا يعلم؟! فقال: خذي من ماله المعروف ما يكفي بنيك (رواه البخاري). وقد أجاز لها الرسول ﷺ أن تأخذ من مال زوجها أبي سفيان ما يكفيها ويكفي أولادها، وليس هذا حكماً، فلو كان حكماً لدعا الرسول أبا سفيان لمجلس القضاء وسمع أقواله، فهذا إذن قد كان من باب الاستشارة أو الاستفتاء، ثم إن الرسول ﷺ صدق هنداً في ادعائها، ولم يطلب منها أن تقدم دليلاً أو تظهر بينة فهذا المعلم ينصح كيفية التعامل مع الموقف.



لقد تحلى النبي ﷺ بصفات المعلم العظيم، فقد نشأ في بيئة أبعد ما تكون عن المدنية والحضارة، وقد لخصها القرآن فقال تعالى الله ممتناً ومتفضلاً على جميع الناس عامة وأهل العلم خاصة: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢) فمعلم أُمِّي يعلم أهل العلم العلوم ولننظر في حال هذه البيئة التي لم يتغير فيها شيء إلى أن بعث المصطفى ﷺ فحدث هذا الانقلاب الحضاري الجميل، لتنتشر تعاليم المدنية المتحضرة في كل مكان، وتدعم مسيرة الانسانية، ونماذج التاريخ الإسلامي حاضرة بقوة من عمالقة الصحابة ومن بعدهم حتى يومنا هذا بفضل الله تعالى ورسوله الأُمِّي عليه الصلاة والسلام.

درس آخر في تعليم وتربية سيد الخلق، لقد خیرت شريعة الإسلام المحسنين بين المن وإعتاق الأسرى، وبين الفداء بالمال أو المبادلة، فأيهما اختار المالك فهو إحسان، أما المصطفى ﷺ فقد اختار المن، وزاد عليه فأعتق كل أسير معلم فحتى المعلم الكافر له وزن عند المصطفى ﷺ، وزاد على العتق تلك الرحمة الأبوية التي شملت كل مُتَمِّمٍ إليه، ولم يستبح في غضبه ما يستبيحه المعلم والوالد من ضرب وتعزيز، وربما كانت كلماته للخادم المخالف أقرب إلى الملاطفة منها إلى العقاب. ومن ذلك قصة الوصيصة التي أرسلها فأبطأت في الطريق، فما زاد على أن قال لها حين عادت: «لولا خوف القصاص لأوجعتك بهذا السواك!» ضرب سواك لابن عزيز ليس بالشيء الكثير. ولكن محمداً ﷺ يخشى القصاص إذا استباحه في معاملة وصيفة تهمل أمره، وهو الذي لا يهمل له أمر عند سادة الشرفاء، فحقاً ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام: ١٢٤).

يقول القرافي رحمه الله: «لو لم يكن لرسول الله ﷺ معجزة إلا أصحابه، لكفوه لإثبات نبوته» فإن النماذج الفذة - من الصحابة ومن بعدهم - التي أبهرت العالم،



وخدمت البشرية، وقدمت للحضارة الخير الكثير، يجمعها قاسم مشترك، وهو كونها قد تخرجت من مدرسة المعلم الأعظم ﷺ فأصبحت منارات للعلم في مجالسها وفي حلها وترحالها.

ثانياً: دعوة للعلم ومكافحة الأمية

الأحاديث في فضل وأهمية طلب العلم كثيرة فقد حرص المصطفى ﷺ على أصل العلم وجعل لهم خلق خاصة في المسجد النبوي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم) (رواه الترمذي). وحديث أن رسول الله ﷺ قال: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسون بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه) (رواه مسلم).

«ان قيام المجتمعات المتحضرة والمتقدمة قائماً على العلم والبحث بالدرجة الأولى فلا يوجد رجال مثقفين بل رجال يتقفون» (مارشال فوش)، « فالهدف الأكبر للثقافة والتعليم ان ندرك الكمال ونجعله يتشر» (ارنولد)، وهذه أصل الدعوة المحمدية فقد قال الله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۖ ﴾ (طه: ١١٤) لأنه كما يقال لحملة الدكتوراه عند تخرجهم الان حصلتم على رخصة للتعلم والبحث والاستزاده.

وفي أسارى بدر نجده ﷺ قد منح فقراء المشركين الفكاك من الأسر مقابل أن يعلم المتعلم منهم الأميين من المسلمين طلب العلم المفيد أساسي، قال الرسول ﷺ: (طلب العلم فريضة على كل مسلم) (صحيح الجامع)، وكان من دعائه ﷺ:



(اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها) (رواه مسلم)، فكم من انسان دفع من وقته وعمره الثمين وبذل المال والجهد الكبير في علم لا حاجة له، ولا أمته به، فخسر وقتاً وجهداً وما لافياً لا فائدة فيه.

ثالثاً: شخصيته التعليمية:

كان المصطفى ﷺ لنا رحيماً، يحب اليسر، والرفق بالمتعلم، حريص عليه، يبذل العلم والخير في كل وقت ومناسبة، وبكل طريقة وأسلوب ممكن؛ تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

قال ابن كثير - رحمه الله -: (أي يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته، ويشق عليها ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق عدة عنه أنه قال: بعثت بالحنيفية السمحة) (تفسير ابن كثير)، قال الشنقيطي - رحمه الله -: (هذه الآية الكريمة تدل على أن بعث هذا الرسول الذي هو من أنفسنا الذي هو متصف بهذه الصفات المشعرة بغاية الكمال وغاية شفقتة علينا هو أعظم ممن الله تعالى وأجزل نعمه علينا) (أضواء البيان)، وما أجمله من وصف فحقاً هو من أفضل النعم.

وعن مالك بن الحويرث - رضي الله عنه - قال: أتينا إلى النبي ﷺ ونحن شعبة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يوماً وليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً، فلما ظن أننا قد انتهينا أهلنا، أو قد اشتقنا سألنا عمن تركنا بعدنا، فأخبرناه. قال: (ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلموهم، ومروهم - وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة، فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم) (رواه البخاري).



ولنقرأ وصف أحد تلاميذ المصطفى ﷺ في تعليمه ومجالسته وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعضاً من شمائله فقال: «كان رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يؤيس منه راجياً، ولا يخيب فيه». وقال: (قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، ومما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيبه، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت، تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له؛ حتى يفرغ حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون، ويتعجب مما يتعجبون منه. ويصبر للغريب على الجفوة في منطقته ومسألته؛ حتى إن كان أصحابه ليستجلبوهم) (رواه الترمذي). ويقول كرم الله وجهه: «إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فأرفدوه، ولا يقبل الشاء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجور، فيقطعه بنهي أو قيام» (شمائل الترمذي).

رابعاً: القدوة الحسنة

كان ﷺ إذا أمر بشيء عمل به أولاً، ثم تأسى به الناس بعده فهو الأسوة الحسنة والقدوة لكل خير: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

يقول الجَلندي رضي الله عنه ملك عمان في سبب إسلامه: «لقد دلني على هذا النبي الأمي إنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له وأنه يغلب فلا يبطر، ويُغلب فلا يهجر، وأنه يفى بالعهد، وينجز الوعد، وأشهد أنه نبي» (ابن حجر).



وكان المصطفى ﷺ يتفنن بأشوق السبل في تعليم المسلمين ومن هذا النموذج نذكر ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (أتانا رسول الله ﷺ في مسجدنا هذا وفي يده عرجون ابن طاب (رجل من أهل المدينة) فرأى في قبلة المسجد نخامة، فحكها بالعرجون، ثم عادها مرتين قلنا: لا أيننا يا رسول الله. قال: فإن أحدكم إذا قام يصلي، فإن الله تبارك وتعالى قبل وجهه، فلا يبصقن قبل وجهه، ولا عن يمينه، وليبصق عن يساره، تحت رجله اليسرى فإن عجلت به بادرة فليقل بثوبه هكذا ثم طوى ثوبه بعضه على بعض ثم قال: أروني عبيراً (نوع من الطيب) فقام فتى من الحي يشدد إلى أهله، فجاء بخلوق في راحته، فأخذه رسول الله ﷺ فجعله على رأس العرجون، ثم لطح به على أثر النخامة، فقال جابر: فمن هناك جعلتم الخلق في مساجدكم) (رواه البخاري).

أما التعليم الميداني فالمصطفى ﷺ استعمله مرات كثيرة فعن معاذ بن عبد الرحمن أن بن أبان أخبره قال: أتيت عثمان بن عفان بطهور وهو جالس على المقاعد، فتوضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: رأيت النبي ﷺ يتوضأ وهو في هذا المجلس، فأحسن الوضوء، ثم قال: (من توضأ مثل هذا الوضوء، ثم أتى المسجد فركع ركعتين، ثم جلس غفر له ما تقدم من ذنبه « قال: وقال النبي ﷺ: » لا تغتروا) (رواه البخاري).

إن التعليم بالفعل والعمل أقوى وأوقع في النفس، وأعون على فهم المراد، وأدعى إلى الحفظ والرسوخ، من التعليم بالقول والبيان، ويشهد لهذا قصة صلح الحديبية، فحين أمر النبي ﷺ الصحابة بأن يتحللوا من إحرامهم وينحروا هديهم فقال لهم: «قوموا، فانحروا، ثم احلقوا» فتوانوا في ذلك، فدخل على زوجه أم سلمة - رضي الله عنها - فأشارت عليه بأن يخلق رأسه، وينحر هديه، فإنهم لا محالة يقتدون به ففعل، فكان كما ذكرت.



خامساً: أساليب تعليمه

«المدرسة الحقيقة للقيادة هي الثقافة العامة بها يعمل العقل بانتظام ويميز الجوهر من العرض» (ديول) وهذا أساس مناهج التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد كان ﷺ يقدم الأهم فالأهم، ويعلم شيئاً فشيئاً، ليكون أقرب للفهم، وأثبت للحفظ، إذ أن إلقاء كل العلوم على المتعلم دفعة واحدة تسبب خسارة العلم كله، فعن جندب بن عبد الله قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة (قاربنا البلوغ) فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازدنا به إيماناً» (رواه ابن ماجه والبخاري).

وهذا المصطفى ﷺ يعلمه تلميذه المعلم علم التدرج والأولويات فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: (إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب) (رواه البخاري)، وكان عليه الصلاة والسلام حريصاً على اتباع أساليب راقية وبليغة في تعليم أصحابه وامته منها على سبيل المثال: -

١ - الاعتدال والتشويق

حديث أنس عن النبي ﷺ قال: (يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا) (متفق عليه)، وعن أبي وائل قال: كان عبد الله يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم؟! قال: أما إنه يمنعي من



ذلك أني أكره أن أملككم وإني أنحولكم بالموعظة، كما كان النبي ﷺ يتحولنا بها مخافة السامة علينا) (رواه البخاري)، فكان يتعهد أصحابه، وأحوالهم، وأوضاعهم، حين تعليمهم؛ حتى لا يدخل الملل إلى نفوسهم، فيستكفوا عن التعلم، ويراعي في ذلك القصد والاعتدال.

٢- مراعاة الفروق بين المتعلمين

إن الناس كما هو معلوم ليسوا على طبقة واحدة في الفهم والإدراك واللغة والرغبة، فبينهم فروق مختلفة، لذا كان ﷺ يخاطب كل واحد بقدر فهمه، وبما يتناسب مع وضعه، وطبيعته، وذكر حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل قال: (يا معاذ بن جبل. قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: يا معاذ، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثاً قال: ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه، إلا حرمه الله على النار قال يا رسول الله: أفلا أخبر به الناس، فيستبشروا؟ قال: إذا يتكلموا وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً) (رواه البخاري).

وقال ابن حجر رحمه الله: (وفيه دليل على أن التشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة، ومثله قول ابن مسعود: (ما أنت محدثاً قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة) (رواه مسلم) «يحق النقد لمن يرغب في المساعدة» (لنكولن).

٣- وصايا الرسول المعلم بالألويات

« كل شيء يزول والحقيقة لا تزول » (مثل روسي)، نجد أن النبي ﷺ قد أوصى أناس سألوه الوصية نفسها بوصايا مختلفة، لكنها تتناسب وحال كل واحد منهم أي أنها مفصلة لأحوالهم وحاجاتهم، فمن ذلك:



١ - عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أوصني، قال: (اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن) (مسند أحمد).

٢ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني، قال: (لا تغضب فردد مراراً قال: لا تغضب) (رواه البخاري).

٣ - عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: (قل آمنت بالله، فاستقم) (رواه مسلم).

٤ - عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: (لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله) (صحيح الترمذي).

سادساً: الإبداع التعليمي لمعلم البشرية

اتبع المصطفى عليه الصلاة والسلام أساليب تعتبر إبداعية حتى في الوقت الحاضر يستخدمها المعلمين في العالم مع ظهور كل أساليب التعليم المتطورة: -

١ - **أسلوب المسألة والحوار**، الذي يثير انتباه السامعين ويشوق النفوس للحصول على الجواب، ويحرض عقولهم على إعمال الفكر للوصول إلى الجواب، فإن لم يجيبوا وأجاب النبي ﷺ كان ذلك أدعى لحفظ المعلومة ورسوخها في ذاكرتهم، فعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم، يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا) (رواه البخاري)، وقال رسول الله ﷺ: «تدرون من المسلم؟» قالوا: الله ورسوله



أعلم قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده» قال: تدرون من المؤمن؟
« قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «من آمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم،
والمهاجر من هجر السوء فاجتنبه) (مسند أحمد). وعن عبد الله بن عمر رضي
الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها
مثل المسلم فحدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله:
ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله؟
قال: هي النخلة) (رواه البخاري).

٢- **التعليم بالمحادثة والموازنة العقلية:** فكان عليه الصلاة والسلام يستخدم
المحاكمة العقلية على طريقة السؤال والجواب؛ لقلع الباطل، أو لترسيخ
الحق في قلب مستبعده أو مستغربه، من ذلك عن أبي أمامه قال: أن فتى شاباً
أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه،
وقالوا: مه مه، فقال: أدنه، فدنا منه قريباً قال: فجلس، قال: أتجبه لأمك؟ قال:
لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم...، قال: فوضع
يده عليه، وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه» فلم يكن بعد
ذلك الفتى يلتفت إلى شيء (رواه أحمد) فحقاً «ارفع علم الحق يتبعك اهله»
(عمر بن عبدالعزيز).

وعن أبي سعيد الخدري قال خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى،
فمر على النساء فقال: (يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار فقلن:
وبم يا رسول الله قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل
ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا
رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل، قلن: بلى، قال:



فذلك من نقصان عقلها أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم «قلن: بلى قال: »
فذلك من نقصان دينها) (رواه البخاري).

٣- التعليم بالمقايسة والتمثيل: فكان يقيس لأصحابه الأحكام ويعللها لهم إذا
اشتبهت عليهم مسالكها، وغمض عليهم حكمها، فتتضح لهم الأحكام
والمقاصد الشرعية، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من جهينة جاءت
إلى النبي ﷺ فقالت: إن أُمِّي نذرت أن تحج، فلم تحج؛ حتى ماتت أفأحج
عنها؟ قال: (نعم حجي عنها أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته،
اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء) (رواه البخاري).

٤- التعليم بالتشبيه: إن الاستعانة بما يشاهده الناس ويقع تحت متناول حواسهم
أسلوب يعين أكثر على الفهم، ويسهل عملية التعليم بشكل أسرع، ويساعد
على فهم المراد، قال رسول الله ﷺ: (مثل الجليس الصالح والسوء كحامل
المسك، ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن
تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة)
(رواه البخاري).

٥- الإشارة بالأصابع واليدين: ورد في أحاديث كثيرة أن الرسول ﷺ استخدم
أصابعه ويديه عند تعليمه أصحابه رضي الله عنهم في إشارات تعليمية هادفة،
وفي كل مرة تحقق إشارته هدفاً تعليمياً من زيادة وضوح معنى، إلى إثارة انتباه،
إلى ترسيخ فكرة، ومن تلك الأحاديث ما يلي:

١- حديث الرسول ﷺ (والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه
هذه -وأشار يحيى بالسبابة - في اليم فلينظر بم ترجع) (رواه مسلم)، ويحيى
أحد الرواة، و(اليم) هو البحر ففي هذا الحديث نجد أن الرسول ﷺ يستخدم



وسيلة الإشارة الحسية التي يرتبط فيها المفهوم المجرد بشيء ملموس وهو هنا إصبع، وذلك أشد وقعاً في نفوس الحاضرين من مجرد القول: إن الدنيا لا تساوي شيئاً بالنسبة للآخرة.

٢- عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، عن الرسول ﷺ أنه قال: (بعثت أنا والساعة كهذه من هذه؛ أو كهاتين وقرن بين السبابة والوسطى) فأشارته بإصبعيه لبيان قرب مبعثه من قيام الساعة لها من الوضوح والوقع والثبات في الأذهان أشد من القول: بعثت قرب الساعة.

٣- عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أما أنا فأفيض على رأسي ثلاثاً، وأشار بيديه كليهما أي أشار أنه يأخذ الماء بكفيه معاً) (رواه البخاري).

٦- استخدام وسائل الإيضاح المتاحة:

أ- فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ ثلاث حصيات، فوضع واحدة، ثم وضع أخرى بين يديه، ورمى بالثالثة، فقال: هذا ابن آدم، وهذا أجله، وذلك أمله، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه، فقلت: يا رسول الله أي المسجدين الذي أسس على التقوى؟ قال: فأخذ كفاً من حصباء فضرب به الأرض، ثم قال: هو مسجدكم هذا. لمسجد المدينة.

ب- استخدم الرسم على الأرض: فعن عبد الله رضي الله عنه قال: خط النبي ﷺ خطاً مربعاً، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خطاً صغيراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به، أو قد أحاط به، وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط



الصغار الأعراض، فإن أخطأ هذا نهشه هذا، وأن أخطأ هذا نهشه هذا (رواه البخاري).

ج- استخدم التوضيحات العملية: فهناك بعض الأعمال والمهارات الحركية التي تحتاج إلى تدريب عملي عليها لإتقانها على الوجه المطلوب، ولا يكفي فيها الشرح النظري مثل الوضوء، لذلك نجد أن الرسول يقوم بتوضيح بعض الأعمال والشعائر توضيحاً عملياً، وذلك مثل البيان العملي لأوقات الصلاة لمن سأل عنها، وقوله عقب ذلك: (وقت صلاتكم بين ما رأيتم)، وقيامه بالوضوء أمام الصحابة، ثم قوله: (من توضأ وضوئي هذا)، وكقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه البخاري: (صلوا كما رأيتموني أصلي)، وكقوله وهو يؤدي مناسك الحج: (لتأخذوا مناسككم)، ونحو ذلك من المهارات الحركية التي أداها أمام الصحابة رضي الله عنهم.

د- صورة من المجسمات والألعاب: فقد أخرج ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بسلام يسلم شاة، فقال له رسول الله ﷺ: (تنح حتى أريك، فأدخل رسول الله ﷺ يديه بين الجلد واللحم، فدحس بها حتى توارت إلى الإبط، وقال: يا غلام هكذا فاسلم، ثم مضى وصلى للناس ولم يتوضأ) والدحس: هو إدخال اليد بين جلد الشاة ولحمها.

فأمير بلا علم ربان بلا عينين» (اديسون)، وتعتبر الألعاب التربوية حالياً من أفضل وسائل فعالية لقياس اتجاهات المتعلمين وتنميتها وتعزيزها.

هـ- التشبيه بالدواب: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلاً من بعض العالية، والناس كَنَفَتَهُ، فمر بجدي أسك (ماعز صغير) ميت، فتناوله فأخذه بأذنه، ثم قال: (أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟



فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: أتحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حيًّا كان عيبًا فيه لأنه أسك، فكيف وهو ميت فقال: فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم (صحيح الالباني).

٧- إجابة السائل ولو كان سؤاله صعب

وهو أمر حض المصطفى ﷺ عليه ووجه الصحابة إليه حيث قال: (إنما شفاء العي السؤال ...) (صحيح أبي داود). وهنا المعنى الصحابي الذي شج برأسه واراد التيمم فقال له أصحابه ما نجد لك الرخصة فإعتسل فمات وكان يكفيه التيمم رضي الله عنه فكان الصحابة يوردون عليه ما أشكل عليهم، من أمور دينهم ودنياهم، وكان ﷺ يجيبهم بكل ذلك بسعة صدر، وبشاشة وجه، وطيب خاطر. بلى ملل أو كلل. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (يأتي الشيطان أحدكم، فيقول من خلق كذا من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله وليتته) (رواه البخاري).

٨- جواب السائل بأكثر مما سأل عنه:

فقد يناسب المخاطب والحال مزيد فائدة غابت عن السائل والمتعلم فلا بأس من إيراد تلك الفائدة، ليزداد علماً، وهذا الأمر منه ﷺ يدل على كمال رأفته ورعايته بالمتعلمين والمتفقهين، فعن أبي هريرة يقول سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضعنا به عطشنا أفنتوضأ من ماء البحر؟ قال: فقال النبي ﷺ: (هو الطهور ماؤه، الحل ميتته) (رواه أحمد)، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: رفعت امرأة صبيًّا لها فقالت: يا رسول الله لهذا حج؟ قال: (نعم، ولك أجر) (رواه مسلم).



٩ - لفت انتباه السائل إلى غير ما سأل عنه:

لتنبية السائل والمتعلم إلى أمر أكثر أهمية وحاجة له، مما سأل عنه، فعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة قال وماذا أعددت لها؟ قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ فقال: أنت مع من أحببت. قال أنس فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ أنت مع من أحببت قال أنس فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم (رواه البخاري).

١٠ - التدريب العملي وتعليم المعلم:

فكان ﷺ يفوض أحد الصحابة الجواب عن سؤال السائل؛ ليدربه على التعليم، وليعلم ما لديه من علم ومعرفة، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجلان يختصمان إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لعمرو بن العاص: «أفض بينهما» قال: وأنت ها هنا يا رسول الله؟ قال: «نعم» قال: على ما أقضي؟ قال: (إن اجتهدت فأصبت لك عشرة أجور، وإن اجتهدت فأخطأت فلك أجر واحد) (الدارقطني). «فالدارس يغلب الفارس» (مثل سوري).

١١ - اختبار المعلمين وتشجيعهم:

وهذا أسلوب يفيد المعلم في معرفة ما لدى المتعلم من علم، والثناء يفعل فعله في المتعلم حرصاً ومواظبة، فعن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم» قال: قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم. قال: فضرب في صدري وقال: «والله! ليهنك العلم أبا المنذر» (رواه مسلم).



ولما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قال: (كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله، قال: فبسنة رسول الله ﷺ قال فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ ولا في كتاب الله، قال: أجتهد رأيي ولا آلو فضرب رسول الله ﷺ صدره، وقال: الحمد لله الذي وفق رسول، رسول الله لما يرضي رسول الله) (سنن أبي داود).

١٢ - إمساكه بيد المخاطب أو منكبه:

وكان من هديه ﷺ في التعليم أن يثير انتباه المخاطب بأخذ يده أو منكبه؛ ليزداد اهتمامه بما يعلمه وليلقي إليه سمعه وبصره وقلبه ليكون أوعى له وأذكر، فعن عبد الله بن سخرية أبي معمر قال: سمعت ابن مسعود يقول: (علمني رسول الله ﷺ وكفى بين كفيه، التشهد كما يعلمني السورة من القرآن: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام عليك وعلى عباد الله الصالحين، أشد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) (رواه البخاري).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور وكان ابن عمر يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك، فإنك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غداً» (رواه البخاري) «وحقاً من ليس له معلم فالزمن يعلمه» (مثل فرنسي).

الفصل الخامس عشر: حب الرسول واجبيته وكيفيته







المقدمة

المحبة عمل قلبي اعتقادي تظهر آثاره ودلائله في سلوك الإنسان وأفعاله، ومحبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - أصل عظيم من أصول الدين، فلا إيمان لمن لم يكن الرسول - ﷺ - أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين. وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة: ٢٤).

قال القاضي عياض في شرح الآية: فكفى بهذا حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ، إذ قرع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وتوعدهم بقوله تعالى: (فتربصوا حتى يأتي الله بأمره)، ثم فسقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله». وقال الله تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (الأحزاب: ٦). وقال النبي - ﷺ -: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين (صحيح الجامع). وعن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي - ﷺ - وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي - ﷺ -: (لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك)، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي - ﷺ -: الآن يا عمر) (رواه البخاري).



أولاً: آثار محبته - ﷺ :-

تعزير النبي - ﷺ - وتوقيره: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝۸ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُعَزِّرُوهُ وَنُقْوَ رُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝۹ ﴾ (الفتح: ٩). ذكر ابن تيمية رحمه الله أن التعزير: (اسم جامع لنصره وتأيدته ومنعه من كل ما يؤذيه والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينه وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشریف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرج به عن حد الوقار).

ثانياً: توقير النبي ﷺ

- ١- عدم رفع الصوت فوق صوته وعدم مقاطعة أحاديثه إذا تليت قال الله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝۲ ﴾ (الحجرات: ٢) وعن السائب بن يزيد قال: كنت قائماً في المسجد فحصبني رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما أو من أين أنتما؟ قالاً: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ.
- ٢- الصلاة والسلام عليه وعلى آله وأحبابه قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝۵۶ ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قال ابن عباس: يصلون: يُبركون. وفي الآية أمر بالصلاة عليه، والأمر يقتضي الوجوب، لهذا قال النبي - ﷺ -: «البخيل من ذكرتُ عنده فلم يصل علي». وقال: (رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي).

- ٣- اتباعه وطاعته والاهتداء بهديه: الأصل في أفعال النبي - ﷺ - وأقواله أنها للاتباع والتأسي، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ



لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب: ٢١) قال ابن كثير: «هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله - ﷺ - في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي - ﷺ - يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل. وجاء أمر الله سبحانه وتعالى في وجوب طاعة الرسول - ﷺ - في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمَّا أَنْتُمْ الرُّسُولُ فَحَدُّهُ وَمَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا﴾ (الحشر: ٧) وجعل الله عز وجل طاعة الرسول - ﷺ - من طاعته سبحانه، فقال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠) وأمر بالرد عند التنازع إلى الله والرسول، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: ٥٩) وتواترت النصوص النبوية في الحث على اتباعه وطاعته، والاهتداء بهديه والاستئنان بسنته، وتعظيم أمره ونهيه، ومن ذلك قول الرسول - ﷺ -: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة) فطاعة الرسول - ﷺ - هي المثال الحي الصادق لمحبه عليه الصلاة والسلام فكلما ازداد الحب، زادت الطاعات، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (ال عمران: ٣١) فالطاعة ثمرة المحبة، وفي هذا يقول أحد الشعراء:

تعصى الإله وأنت تزعم حبه *** ذاك لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته *** إن المحب لمن أحب مطيع

٤- الذب عنه وعن سنته ﷺ: إن الذب عن رسول الله - ﷺ - ونصرته، آية عظيمة من آيات المحبة والإجلال، قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ



وَرِضُونَا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ (الحشر: ٨)
ولقد سطر الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة وأصدق الأعمال في
الذب عن رسول الله - ﷺ -، وفدائه بالأموال والأولاد والأنفس، في
المنشط والمكره، في العسر واليسر، وكتب السير عامرة بقصصهم وأخبارهم
التي تدل على غاية المحبة والإيثار، وما أجمل ما قاله أنس بن النضر يوم
أحد لما انكشف المسلمون: "اللهم إني أعترز إليك مما صنع هؤلاء
يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين، ثم تقدم
فاستقبله سعد، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها
من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس بن
مالك: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم،
ووجدناه قد قتل، وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه.
والتهاون في الذب عن رسول الله - ﷺ - أو الذب عن سنته وشريعته، من
الخذلان الذي يدل على ضعف الإيمان، أو زواله بالكلية، فمن ادعى الحب
ولم تظهر عليه آثار الغيرة على حرمة وعرضه وسنته، فهو كاذب في دعواه.

٥ - تصديقه في كل ما أخبر: من أصول الإيمان وركائزه الرئيسة، الإيمان بعصمة
النبي - ﷺ - وسلامته من الكذب أو البهتان، وتصديقه في كل ما أخبر من أمر
الماضي أو الحاضر أو المستقبل، قال الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ
صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾
(النجم: ١٤) والجفاء كل الجفاء، بل الكفر كل الكفر اتهامه وتكذيبه فيما أخبر،
ولهذا ذم الله المشركين بقوله: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ
تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ
يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ (يونس: ٣٧-٣٩)



ومن اللطائف التي تدل على منزلة الشيخين الجليّة، أن رسول الله - ﷺ - قال لأصحابه: (بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبها حتى استنقذها، فالتفت إليه الذئب، فقال له: من لها يوم السبع ليس لها راع غيري؟ وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفت إليه فكلّمته فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكنني خلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله! قال النبي - ﷺ -)
فإني أومن بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

٦- التحاكم إلى سنته وشريعته: إن التحاكم إلى سنة النبي - ﷺ - أصل من أصول المحبة والاتباع، فلا إيمان لمن لم يحتكم إلى شريعته، ويسلم تسليمًا، قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٥) وقدين الله سبحانه وتعالى أن من علامات الزيف والنفاق الإعراض عن سنته، وترك التحاكم إليها، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۖ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا أَحْسَنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ (النساء: ٦١، ٦٠). وعن أنس أن رجلاً قال: يا محمد، يا سيدنا، وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله - ﷺ -: «قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل. ونظائر هذه النصوص كثيرة جداً، وثمرتها كلها بيان أن محبة النبي - ﷺ - وتعظيمه لا تكون إلا بالهدي الذي ارتضاه وسنه لنا، ولهذا قال عليه أفضل الصلاة والسلام: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ».

وما أجمل قول أنس بن النضر رضي الله عنه لما مر بقوم من المسلمين قد ألقوا بأيديهم فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: قتل رسول الله - ﷺ -، فقال: ما تصنعون في الحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه».



الختم

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي قرنت البركة بذاته، والهداية بسنته، والصلاح والسعادة باتباعه، كيفما كمال الله، وكما يليق بكمالك وكما يليق بأسمائك وصفاتك، صلاة جلال وجمال وكمال على آله وصحبه أجمعين.

اللهم وكما دعوتك لنفسي أدعوك لجميع الميلمين والمسلمات، وعلى رأسهم والدي ووالدي وأهلي وذريتي وشركائي وأصحابي وأحبابي وجميع من ظلمته ومن ظلمني، ومن أحسن إلي وأحسن إلي.

اللهم واجعلنا من خير المصلين والمسلمين عليه، ومن خير المقربين منه، والواردين على حوضه، ومن خير المحبوبين لديه، وفرحنا به دنيا وآخرة، واجعله لنا دليلاً إلى جنة النعيم بلا عقاب ولا مشقة ولا مناقشة الحساب، واجعله وقبلًا علينا راضياً عنا، فرحاً بنا، ولا تجعله غاضباً علينا ولا معرضاً عنا، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وأخيراً هذا ما انتهيت إليه، فإن أصبت فمن الله وحده،

وإن أخطأت فمن نفسي، والله أعلم.

وصل الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأحبابه وأتباعه أجمعين.



المراجع ومصادر أخرى

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري.
- ٣ - صحيح مسلم.
- ٤ - سنن أبي داود.
- ٥ - سنن النسائي.
- ٦ - سنن الترمذي.
- ٧ - صحيح الجامع الصغير للشيخ ناصر الدين الألباني.
- ٨ - جامع الأصول لأحاديث الرسول ﷺ لابن الأثير تحقيق عبدالقادر الأرنوؤط.
- ٩ - تفسير ابن كثير رحمه الله.
- ١٠ - عبقرية محمد ﷺ عباس محمود العقاد مصر - المكتبة العصرية - ١٩٦٩ م.
- ١١ - محمد رسول الله ﷺ ، شمائله الحميدة - خصالة المجيدة - عبدالله سراج الدين - مكتبة دار الفلاح.
- ١٢ - السيرة النبوية لابن هشام دار المعرفة - بيروت.
- ١٣ - السيرة النبوية والآثار المحمدية الشيخ أحمد بن زيني الشافعي - ١٤٣٤ هـ دار النوادر.



- ١٤- الفصول في اختصار سيرة الرسول ﷺ الحافظ ابن كثير عماد الدين إسماعيل الشافعي - دار النوادر.
- ١٥- الرحيق المختوم: بحث في السيرة النبوية الشيخ صفى الرحمن المباركفوري - أولى النهى للإنتاج الإعلامي - الرياض.
- ١٦- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية - مؤسسة الريان.
- ١٧- الروض الأنف للإمام عبدالرحمن السهيلي ومع السيرة النبوية لابن هشام مؤلفه محمد مسعد ياقوت - دار السلام للنشر - ٢٠١٥م.
- ١٨- اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون موسى بن راشد العازمي - دار الصميعي للنشر.
- ١٩- السيرة النبوية - سلسلة إصدارات ومحاضرات وخطب - د. طارق السويدان.
- ٢٠- النموذج العام لإعداد القادة - د. طارق السويدان - أ. غياث خليل - الإبداع الفكري للنشر.
- ٢١- السيرة النبوية - محمد متولي الشعراوي - المكتبة العصرية.
- ٢٢- السيرة النبوية - د. عمر عبدالكافي - سلسلة محاضرات وندوات.



الفهرس

الصفحة	البيان
3	المقدمة.
	الفصل الأول
7	حب الله.
10	أولاً: دلائل حب الله عزوجل للمصطفى.
10	١ - المولى أقسم بحياة النبي.
11	٢ - وعد الله له بأنه يعطيه حتى يرضيه.
11	٣ - قص عليه القصص تشيئاً له.
12	٤ - أخبار الله له بأنه يرحاه.
12	٥ - أمر الناس بالتأدب مع المصطفى.
13	٦ - المعراج ووصوله إلى مكانة عليا.
13	٧ - عطف ومودة الله لرسوله.
14	٨ - حب وتقدير الرسول لربه.
14	ثانياً: مظاهر حب الرسول لربه.
16	١ - الصيغ الماثورة في الصلاة على النبي.
17	٢ - فضل الصلاة على النبي.
19	ثالثاً: فضل الصلاة والسلام على المصطفى.
19	١ - امتثال لأمر المولى عزوجل.
19	٢ - ذكر الله ذي الجلال والإكرام لعبده.
20	٣ - وصول صلاة وسلام العبد للمصطفى.
21	٤ - الصلاة على النبي من علامات الجود.





الصفحة	البيان
21	٥ - الصلاة على النبي من علامات الإيمان.
22	٦ - الصلاة على النبي توقيير له.
23	٧ - صلاة الله تعالى على العبد، تمحو الخطايا، وترفع الدرجات.
23	٨ - الصلاة على النبي سبب في استجابة الدعاء.
23	٩ - مغفرة الذنوب والتخلص من الهموم.
الفصل الثاني	
25	حب الملائكة وجبريل.
27	أولاً: وصية المصطفى لمجالس الذكر والمجاهدين لاجتماع الملائكة فيها.
27	١ - ملك الجبال وجبريل ينزلان لنصرة الرسول.
28	٢ - الملائكة يؤمنون على دعاء الرسول.
28	٣ - الملائكة تظلل شهيد غزوة أحد.
29	٤ - الملائكة تضرب مثلاً للنبي.
29	٥ - الملائكة يكتبون أسماء مصلي الجمعة.
29	٦ - الملائكة يصلون على العبد إذا جلس ينتظر الصلاة.
30	٧ - الملائكة يبلغون النبي.
30	٨ - الملائكة تصلي على من صلى على المصطفى.
30	٩ - الملائكة يؤمنون على دعاء المسلم لأخيه.
30	ثانياً: حب جبريل للمصطفى.
32	ثالثاً: جبريل والمصطفى.
33	رابعاً: قصص في حب جبريل للمصطفى.
الفصل الثالث	
39	حب المصطفى لآل بيته.



البيان	الصفحة
أولاً: تعامل النبي مع أهله.	42
ثانياً: تعامل المصطفى ﷺ مع زوجاته.	44
ثالثاً: معاشره المصطفى لأزواجه.	49
رابعاً: تعامل المصطفى مع زوجاته في الأزمات.	50
الفصل الرابع	
حب المصطفى لأُمته.	53
أولاً: فضل أمة المصطفى.	56
ثانياً: شفقتة على أُمته.	59
ثالثاً: خوف المصطفى على أُمته.	62
١ - الشفاعة.	62
٢ - خوفه على أُمته بين الأمم.	63
٣ - خوفه على أُمته من المعاصي.	63
٤ - التحقيق بالعبادات.	63
٥ - خوفه على أُمته من الظواهر الكونية.	64
٦ - دعاؤه المتواصل لأُمته.	65
الفصل الخامس	
حب الرسول لأصحابه.	67
أولاً: تعامل المصطفى مع أصحابه.	70
ثانياً: الحب بين أبي بكر والمصطفى.	73
ثالثاً: أجمل صحبة وأصدق أخوة.	75
رابعاً: دماثة أخلاقه.	76
خامساً: مراعاة النفوس.	78



الصفحة	البيان
79	سادساً: الشوق الدائم لمجلسه.
81	سابعاً: وفاؤه وحبه للمهاجرين والأنصار.
81	١ - وفاء للمهاجرين وفضلهم.
82	٢ - حب الأنصار عند المصطفى.
83	ثامناً: عطاؤه مع أصحابه.
الفصل السادس	
87	حب النبي ﷺ للرسول والأنبياء.
90	أولاً: علاقة المصطفى بالرسول السابقين.
91	ثانياً: تنظيم المصطفى لأنبياء الله.
الفصل السابع	
95	حب الرسول لمكة والمدينة المنورة.
98	أولاً: حب الوطن والمواطنة.
99	ثانياً: تأسيس الشخصية على حب الوطن.
102	ثالثاً: البحث عن دولة الاسلام وتأسيسها.
104	رابعاً: وضع الدستور تعزيزاً للمواطنة وحب المدينة.
105	خامساً: تطوير البنية التحتية للمدينة.
108	سادساً: بناء الجيش وبناء دولة المدينة المنورة.
109	١ - المشورة أساس الحكم والقيادة.
110	٢ - الوفاء سمة الحكام.
111	سابعاً الحكم الحديث والرعاية الصحية والقضاء العادل.
111	١ - الرعاية الصحية.
111	٢ - القضاء العادل.



البيان	الصفحة
١ - قبول تحكيم أبي بكر في خلاف عائشة مع المصطفى.	113
٢ - رحمته حتى بالسارق.	113
٣ - العفو العظيم.	113
٤ - سحب القيادة من الأب لتعطي للابن.	114
٥ - العفو عند المقدرة.	114
الفصل الثامن	
حب الرسول للجنة وترغيبه فيها.	117
أولاً: تحبيب المصطفى بالجنة.	120
ثانياً: أهل الجنة وفضلهم.	123
ثالثاً: أسباب دخول الجنة.	125
١ - جمع الأعمال الصالحة بيوم.	125
٢ - طاعة الله ورسوله بصدق.	125
٣ - الجهاد في سبيل الله.	126
٤ - التوبة والعمل الصالح.	126
٥ - الاستقامة على دين الله.	126
٦ - طلب العلم لوجه الله تبارك وتعالى.	126
٧ - بناء المساجد.	127
٨ - حسن الخلق وترك المراء والكذب.	127
٩ - التطهر وصلاة ركعتين بعد الأذان.	127
١٠ - الذهاب الى المسجد.	127
١١ - الاكثار من السجود لله.	128
١٢ - الحج المبرور.	128



الصفحة	البيان
128	١٣ - قراءة آية الكرسي بعد كل صلاة.
129	١٤ - صلاة اثنتي عشر ركعة تطوعاً.
129	١٥ - عمل الخيرات.
129	١٦ - طاعة الزوج.
129	١٧ - تربية البنات.
130	١٨ - الصبر على موت الأنباء.
130	١٩ - كفالة اليتيم.
130	٢٠ - زيارة المريض والأخ بالله.
130	٢١ - ذكر الله.
131	٢٢ - السماح في البيع والشراء.
131	٢٣ - التجاوز عن المعسر.
131	٢٤ - الصبر على فقد نعمة البصر.
131	٢٥ - تقوى الله.
الفصل التاسع	
132	حب الفقراء والمساكين والمرضى والجار
136	أولاً: حب الرسول للمساكين.
138	ثانياً: أهمية الفقراء والمساكين في الاسلام.
139	ثالثاً: رعاية الفقراء والمساكين طريق الى الجنة.
140	رابعاً: الفقراء والمساكين أصحاب حقوق على المجتمع والأمة.
142	خامساً: مراعاة شعور الفقراء والمساكين.
143	سادساً: العناية بالمريض وصاحب المصيبة.
146	سابعاً: حب الجار.



الصفحة	البيان
146	- حب الرسول ﷺ للجيران.
147	- حقوق الجار التي وجبها الرسول ﷺ علينا.
الفصل العاشر	
149	حب أهل القرآن الكريم وخاصته
152	أولاً: أحباب الرسول أهل القرآن.
154	- أخلاق حملة القرآن.
154	ثانياً: فضائل السور القرآنية
155	١ - فضل سورة الفاتحة.
156	٢ - فضل سورة البقرة.
156	٣ - فضل سورة آل عمران.
156	٤ - فضل سورة الاسراء.
157	٥ - فضل سورة الكهف.
157	٦ - فضل سورة الفتح.
158	٧ - فضل سورة يس.
158	٨ - فضل سورة تبارك.
158	٩ - فضل سورة الكافرون.
159	١٠ - فضل سورة الاخلاص.
159	١١ - فضل سورة الفلق والناس.
الفصل الحادي عشر	
161	حب ذوي الأخلاق الحسنة.
164	أولاً: حسن الخلق.
165	- محاسن حسن الخلق.



البيان	الصفحة
ثانياً: فضائل حسن الخلق.	166
ثالثاً: تواضع المصطفى وحبه للمتواضعين.	170
الفصل الثاني عشر	
حب أهل الصدقات.	173
أولاً: حث وتقدير المصطفى لأهل الصدقات.	176
ثانياً: فوائد الصدقة كما بينها المصطفى.	177
ثالثاً: أهل الصدقات ذو منزلة خاصة عند المصطفى.	180
الفصل الثالث عشر	
حب المحسنين.	183
أولاً: الاحسان صفة الله.	186
ثانياً: حب الرسول للاحسان والمحسنين.	188
ثالثاً: حب المصطفى للمحسنين في القول والعمل.	191
١ - الاحسان في القول.	192
٢ - الاحسان في العمل.	193
٣ - التعاون في أداء العمل وانجازه.	193
رابعاً: المصطفى والإحسان إلى الخلق.	194
خامساً: الوصول لدرجة الاحسان وفوائده.	196
١ - متابعة سنة المصطفى.	198
٢ - التقوى.	198
٣ - كظم الغيظ والعفو.	198
٤ - حال المكاشفة.	198



البيان	الصفحة
٥ - حال المراقبة.	199
٦ - الانفاق.	199
الفصل الرابع عشر	
حب أهل العلم.	201
أولاً: المعلم الأول وحبه للعلم.	205
ثانياً: دعوة للعلم ومكافحة الأمية.	207
ثالثاً: شخصيته التعليمية.	208
رابعاً: القدوة الحسنة.	209
خامساً: أساليب تعليمه.	211
١ - الاعتدال والتشويق.	211
٢ - مراعاة الفروق بين المتعلمين.	212
٣ - وصايا الرسول المعلم بالألويات.	212
سادساً: الابداع التعليمي لمعلم البشرية.	213
١ - أسلوب المسألة والحوار.	213
٢ - التعليم بالمحادثة والموازنة العقلية.	214
٣ - التعليم بالمقايسة والتمثيل.	215
٤ - التعليم بالتشبيه.	215
٥ - الإشارة بالأصابع واليدين.	215
٦ - استخدام وسائل الايضاح المتاحة.	216
٧ - اجابة السائل ولو كان سؤاله صعب.	218
٨ - جواب السائل بأكثر مما سأل عنه.	218
٩ - لفت انتباه السائل إلى غير ما سأل عنه	219



الصفحة	البيان
219	١٠ - التدريب العملي وتعليم المعلم
219	١١ - اختبار المعلمين وتشجيعهم
220	١٢ - إمساكه بيد المخاطب أو منكبه
الفصل الخامس عشر	
221	حب الرسول واجبيته وكيفيته.
224	أولاً: آثار محبته.
224	ثانياً: توقير النبي ﷺ.
228	الختم.
229	المراجع